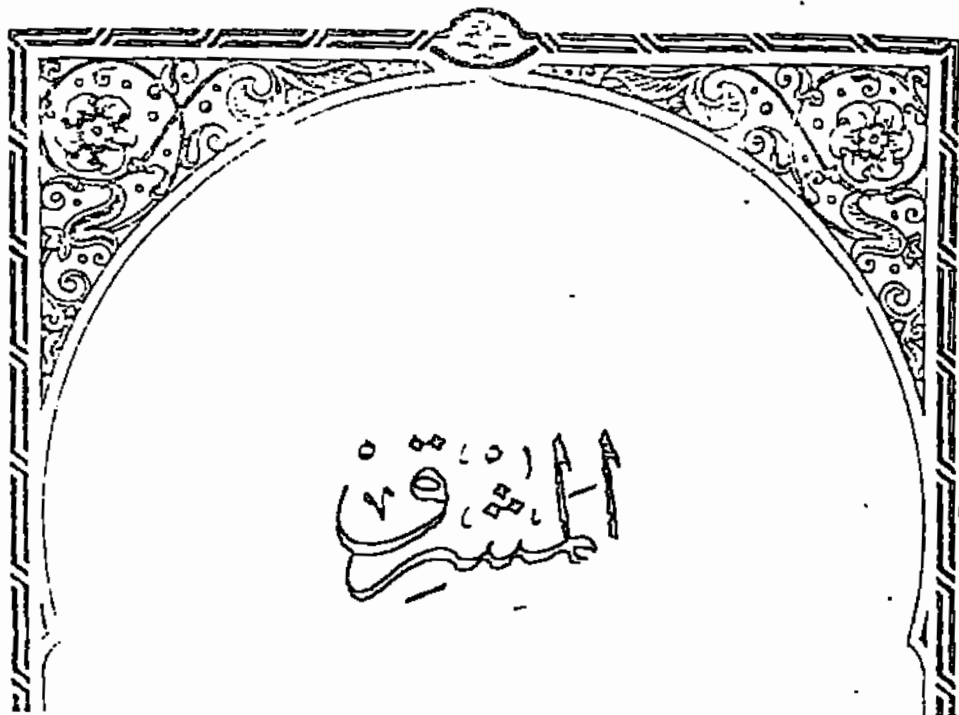




السنّة الخمسون

آذار - نيسان ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج المملطي (تابع)

بفلم الاب اسحق ارملة السرياني

وفي خريف السنة ١٥٦٩ لليونان (١٢٥٨ م) وصل بايجو نوتن الى الموصل ولم يعث بضواحيها كثيراً لان الملك الصالح بن بدر الدين صاحبها كان يرمذ قد عاد من خدمة هولاء ووثقت اليه تركان ابنة جلال الدين خوارزمشاه واقامت لديه بزي النساء المغوليّات . اما المواصلة فقد انهزموا واختفوا جميعاً ريثما انكشف عنهم بايجو . ثم ان علي بهادر بعدما عبر بايجو دجلة انقلب الى ملطية فاغلق اهلها الابواب ولم يتكبره من الدخول لانهم سبقوا فحالفوا ركن الدين . (٥٠٠) فحشد جيشاً من الأجاجرة ونشّم يحاصر المدينة وأمسى اهلها في خوف وفي جوع شديد حتى صار قفيز الملح باربعائة قرش سلطاني والمخيلة يسبيين . واشتد الجوع والضيّق على الاهالي حتى انهم وثبوا في احدى الليالي

وفتحوا ابواب المدينة وادخلوا اليها بهادر واصحابه فاصعدوا الى منابر الجوامع جماعة ينادون بالامان للعرب والنصارى معا . وطأهم قائلان : انه ينبغي محاربة الرعاع لا الاهالي . وعند الصباح قبض على مملوك ركن الدين وجبه واركب شهاب الدين العارض على جحش مغير وطوفه في ملطية ساخرًا ثم قتله . وشد في رقبة المعين ايكدهاشي حبلاً وربطه في عنق كلب ومثاه في الاسواق . ثم قتله . وقتل كذلك قالويان القيس البيوثاني واخويه باسيل ومنوئيل وابنته كيويوري وكانوا من كتبة الديوان وقتل معهم ثلاثة ابناء . شهاب ايسو الامراء الاكراد . وبعد هذا كف عن القتل وانتبى الامن الا ان الجوع تفاقم جدا في ملطية وبلدها لان اللصوص الترككان غابوا فيها واتلفوها . وافضى الامر بالكثيرون الى ان يدهوا بنبيهم وبناتهم في سبل قوتهم . واخذ بعضهم بنقلوا الاحذية الثقيلة ويسلقونها ويأكلونها . ورأوا امرأة تشوي ابنها ولما حاكوها اتست انها لم تقتله لكنها شوته بعد موته . وشاهدوا كذلك جماعة من النساء قدامهن جثة ممدودة وهن يشرحن لحما ويشوينه ويأكلن .

ولما عرف بهادر انه لن يتمكن من مقاومة (٥٠١) التتر ترك المدينة وهرب يريد السلطان عز الدين . وهرب معه جسام جويان وبرصوما بن انداوس الذي قتل فيما بعد في الطريق . وفي اثنا هذا الجوع ثار بعض شبان نصارى من جوياس واقلوا الى قرية عبرا وجعلوا يغزون ويقتلون اخوتهم النصارى ويدخلون البيوت ويأكلون .

وفي تلك الفصول مرض تودورس بن قالويان ملك نيقية في مدينة نيفي ولما شر بدنو الاجل استدعى اليه البطريك ارسانيوس واستودعه تدبير ابنه قالويان وتربيته . لانه كان صغيراً بعد . وكان في خدمته بطريق يقال له ميخائيل باليولوس وكان يخاف ان يتغلب على الملكة ويستحوذ عليها قسراً . وقد صح ذلك . فأمر الملك غارينوس البطريق ان يذهب الى تسالونيقي ويأتيه ميخائيل موقفاً . فذهب اليه وقال له : اني عارف انك ستكون انت الملك فكن حكيماً وأسلم نفسك اليّ دهام معي الى الملك . فاذا شاهد خضوعك له أطلقك وعظمك . فامتل ميخائيل المشورة وسار الى الملك موقفاً ولم يسد شكياً . فصده الملك ورق له وأطلقه واقامه شريكاً للبطريك في تربية الفتى

قالون . وبعد مدة وجيزة توفي ملك بركان له حث حب كيرابوسيا وخا صهر
على ابنتها يقال له موزالون . وهو الذي شيع الملك الى دير مغيبيا ولحده في
ضريح آبائه . واقام اياماً في ذلك الدير يفاوض حماه اخت الملك المتوفى كي
يتولى هو عرش المملكة ويملك الرعما . الذين يخالفونه . فشر ميخائيل (٥٠٢)
وبقية الرعما . بالديسة وأسر جماعة من جند الفرنج ان يقصدوا الدير ويفتكروا
بموزالون حينما هو . فاروا وشاهدوه يصلي في الكنيسة فذبحوه إرباً إرباً .
ثم نادى الرعما . بصوت عالٍ قائلين : فليحي ملك اليونان ميخائيل باليولوغس !
فليحي اوطرقراطور رومانيا ميخائيل باليولوغس ! ومن هناك ساروا جميعاً الى
نيقية واعتقلوا الطفل قالون وارسلوه فسجنوه في احدى القلاع ، ونفوا البطريك
ارسانيوس الذي عنفهم على فعلتهم وسجنوه في احدى جزائر بحر البنطس .

ومما مر القليل على جلوس ميخائيل حتى اعظم ان يزحف الى قسطنطينية
وقد بلغه ان ليس عند الملك بغدوين الفرنجي الا القليل من الجنود . فارسل
واستقدم اليه نيقيفورس مطران افسس وولاه البطاركية في غاليلوي بدلاً من
ارسانيوس المنفي . وارتحل من هناك الى قسطنطينية ولم يتكن من اخذها
لان اهلها اتفقوا مع الجنود ووقفوا على الاسوار وحاربوه بشدة وبسالة . فتركها
وعاد راجعاً خائباً . وبعد مدة وجيزة ثارت فتنة بين تجار الفرنج البنادقة والجنوئين
في عكة واتفق الفيزيئون مع البنادقة . ولما سمع البنادقة ساروا من كل
الاطراف الى مساعدة رفاقهم وفرغت منهم قسطنطينية كذلك . واحتال
ميخائيل حيلة اخرى بان اشار الى متولي بعض قلاع الروم ان يتظاهر بالعصيان
ويبعث الى بغدوين لينبذ بالسكر كي يسلمه تلك القلعة . فامثل الامر وخدع
بغدوين واطناه . فارسل اليه (٥٠٣) فرقة كملت لديه . وعند ذلك تهيأ
ميخائيل وبادر الى المدينة وحاصرها . وفافوض بعض الاهالي ففتحوا له ليلاً باباً
عتيقاً لم يفتح منذ عهد قسطنطين الظافر . فدخل اليونان والتحم القتال وتمكن
بغدوين من النجاة مع اهل بيته وركب سفينة صغيرة وانجزم الى بلاد الفرنج
هكذا عادت قسطنطينية الى اليونان بعدما ظلت في حوزة الفرنج ثلاثاً وخمسين
سنة .

اما نيقيفورس البطريك الدخيل فلم يعيش كثيراً لان المنة عاجلته واقام

ميخائيل بدلاً منه روماس مطران ادرنة بطريكاً ألا انه لما علم ان عزله بسبب اعماله الشائنة الملوثة . وارسل فاستدعى من المنفى البطريك ارسانيوس ووعده بان يطلق قالويان ابن الملك من السجن ويؤليه مملكة ابيه سوى قسطنطينية التي احتلها هو باليف . فرضي البطريك ودعا له وعاد الى كرسيه . غير ان ميخائيل بعدما صالح البطريك زاد شراً فوق شر وبدلاً من ان يطلق سيل قالويان ويؤليه عرش المملكة ارسل وفقاً عينيه كليهما ، فخط البطريك واستغنى وعاد الى سجنه . فاستدعى الملك يوسف رئيس الدير ونصبه بطريكاً وما زال في منصبه حتى يومنا .

فتح بابل (بغداد)

وفي أيام الشتاء اذ كانت ملطية متقلبة في اسوأ احوال انحدر هولاء كرمك الملوك الى بغداد واقبل كذلك بايجو من بلاد الروم . فخرج عساكر بغداد ليأرذوا التتر وعلى رأسهم امير كردي يقال له ابن كورار ومملوك الخليفة واسمه الدويتدار الصغير . ومكث (٥٠٤) الفريقان ثلاثة وعشرين يوماً دون ان يحارب احدهما الآخر . ويوم الاربعاء ثامن محرم عام ٦٥٦ وهو العام ١٥٦٩ لليونان زحف اولاً بايجو نوين وجنوده نحو المكان المدعى قبر احمد غربي بغداد وتقدم البغداديون كذلك والتحم التتال بين الفريقين . فانكسر فريق بايجو وانتصر البغداديون . وكان الامير سليمان شاه وجنوده متوقفين سور بغداد ، وعند الماء قال الشيخ ابن كورار للفتي الدويتدار : لقد منحننا الله الآن الفلبة فيجب ان نقصد بيروتا لنمترج ثم نخرج ثانية للقتال . لكن الدويتدار تجدد وتكبر ورفض المشورة ومكثوا جميعاً خارجاً . وكان البغداديون مقيمين في ارض منخفضة فذهب التتر وثغروا ثغرة تفجرت منها مياه دجلة واغرقت البغداديين في نصف الليل . وجعلوا ينهزمون من وسط المياه وقد تبألت قسائمهم وسهامهم واعقاد سيوفهم . ولما اصبح الصباح انصب عليهم التتر اصحاب هولاء واستمرت المعركة حتى الساعة التاسعة من يوم الخميس . فانكسر البغداديون وارتحلت غرائهم وقتل ابن كورار وانهزم الدويتدار الى المدينة . وعند ذلك اقبل بايجو في جنوده وحلوا غربي بغداد وحل هولاء كرم في

شرقها يوم الاثنين ١٣ محرم وحاصروا مدينة حصاراً شديداً فجهه دار الخليفة .
ولما أيس الخليفة المتعصم التاسع الحظ استدعى ابن الملقى وزيره وحجم الدين
عبد النبي بن دريوس ومارمكيخا الجائليق وأمرهم ان يأخذوا ذهباً كثيراً
وبضائع ملكية وخيراً عربية وان يُطلقوا سفراء التتر من السجن ويوشحوهم
ويسنوا لهم الهدايا الوفرة ويذهبوا بهم الى ملك الملوك ويطلبوا الأمان له
(٥٠٥) ولأبنائه وأهله ويعتذروا له بان ما جرى انما جرى على يد مشيرين
اشرار . وأنهم ان ظفروا في قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدون له الجزية .
ولما سار هؤلاء . وأكلوا سفارهم تبطهم هولاء كرو ولم يأذن لهم ان يعودوا الى
الخليفة وشدد القتال . وتفر التتر فترة كبرى في البرج العجبي ودخلوا المدينة
يوم الجمعة ٢٥ محرم فقاومهم البغداديون وهزمهم ذرية . ثم تقوى التتر في اليوم
التالي اعني يوم السبت واحتلوا الأسوار كلها . فانهزم البغداديون واختفوا في
البيوت والسراديب . وخرج في اليوم عينه ابنا الخليفة كلاهما وقصدا هولاء كرو
وتبعهما الخليفة عينه بعد ساعة . فأمر بان يُقتل واقام حفلة يجرسونه في احدى
الحياض مدة سبعة ايام . وتوجه هولاء كرو نفعه الى دار الخليفة واطلع على الخزان
والمطابخ والذخائر القديمة والحديثة واستولى عليها برمتها . واستل المغول سيوفهم
واجهزوا على ربوات من البغداديين يساعدهم خصوصاً الكرج في تلك الملحة
المائلة .

اماً الجائليق فجمع النصارى كلهم في كنيسة السوق الثالث وصانهم هناك
ولم يلق اذى باحد منهم . ونقل اغنياء العرب اموالهم وامتعهم الى دار
الجائليق يؤملون النجاة ولكنهم قتلوا عن بكرة ابيهم . ولما اطمان ملك
الملوك استدعى اليه الخليفة المنكود الحظ وحاكمه وقضى عليه بالموت وأمر
فجعلوه في غرارة وخاطوها ورفسوه بارجلهم حتى مات . على ان بعض اليرب
خوفوا هولاء كرو بقولهم : ان أريق دم الخليفة على الارض فلن يتزل عليها مطر
بل ان جرات النار تشتمل منه . وانقطعت خلافة بني البأس وتضمضت سائر
ممالك العرب (٥٠٦) وتوطئت مملكة الغول وتفرزت في جميع البلاد الخارجية
والداخلية .

ثم ان التتر انقلبوا من بغداد وزحفوا الى قلعة اربيل وعزل صاحب ابن

صلايا ان يسأها لكن الاكراد العصاة تهددوه فتركهم وانهزم وانضم الى التتر . وبعد هذا اقبل بدر الدين لؤلؤ واشترى القلعة وكل ما فيها من التتر ببلغ سبعين الف دينار . ثم ارتحل التتر وتولى بدر الدين القلعة واقام فيها الحفظة . وما عم ان حصل الامير الكردي شرف الدين جلالي امراً من ملك الملوك وانتزع القلعة منه وطرد الحفظة . وسار مع التتر ليقا تل الاكراد في جولمرك . عندئذ وجه بدر الدين بعض الاكراد ففكروا به وهو راقد في خيسته . وتولى اربيل رجل نصراني اسمه المختص وهو اخو الصفي سايان الطبيب الكبير . وخلفه بعد موته ابنه تاج الدين عيسى وكان رجلاً مؤمناً كريماً .

وحدث يومئذ جوع شديد ووباء . قتال في اطراف بغداد وآثور وما بين النهرين وسورية وبلاد الروم حتى بيع في دمشق فروج لاجل سريض باثني عشر ناصرياً .

الحقبة الحادية عشرة المنتقلة من ملوك العرب الى الملوك الهونيين

هولاكو ملك الملوك واخو مونككا خان الكبير .

بعدما قُتل الخليفة المستحکم وتلى ملك الملوك على بغداد رجلاً يقال له علي بهادور . وفي اثناء الحرب ارسل نصارى تكريت الى الجلائق يطلبون شحنة لحراستهم فلبى طلبهم . ولما زحف التتر وقتلوا (٥٠٧) زعماء العرب ونهبوا اموالهم احتشد النصارى قاطبة في الكنيسة الخضراء المؤسسة على اسم احوذامه وقد احتأها العرب فلاذوا بها . ومكثوا دون اذى من بدء الصوم حتى احد الثمانين ١٧ آذار ١٢٦٩ (١٢٥٨ م) لليونان . واتفق ان ابن دوري الرابي التيم افترى على النصارى وقال للشحنة : ان العرب قد اخفوا عندهم اموالا دائنة ولم يؤدوا لك منها شيئاً . فاستفسر الشحنة كبار النصارى فأقروا بالحقيقة وأحضروا اليه كل الاموال . وارسل الشحنة فأخبر هولاكو فأصدر الحكم بقتل جميع التكريتيين طبةً لثاموس القول . ووجه زعيماً كبيراً في جيش من التتر فاجلوا يأخذون عشرين فەشرين كأنهم يمضون بهم ليقبضوا القلعة ويقتكون بهم . وظلوا كذلك حتى افنواهم قاطبة ولم يفلت الا الشيخ والعجوز . اما البنون والبنات فقد استاقوهم جميعاً وأجلوهم . وعاد العرب فانتزعوا

الكنيسة الكبرى من نصارى . ولم يبق في تكريت سوى قنيسين كرمونين فقط يتيان الصلاة في سائر الكنائس مع نسبة من النصارى . أما ابن دوري صاحب الرشاية فقد ذكر به بهرام النصري الذي تولى شحنة تكريت .

أما بدر الدين صاحب الموصل فلما أطلع على احتلال هولاء كو بغداد وجه اليه ابنه الملك الصالح في ألف فارس نجدة له . فلم يقابله هولاء بمقابلة حسنة بل قال له : انكم انتظرتهم ريثما تقفون على من يكون المتحضر فتبعونه . فلو انتصر الخليفة تبعتموه دوننا . ولما عاد الصالح الى الموصل واخبر والده تخوف ونهض من ساعته واخذ كمية وافرة جداً من الاموال وانطلق بذاته فزار هولاء وراضاه وعاد مطمئناً بعد ما لحقه من الخوف ما لحقه . واستأنم بدر الدين الى هولاء حتى (٥٠٨) انه صعد الى تحتة الملكي ووضع في اذنه حلقة فيها درة غالية الثمن .

وعلى اثر احتلال بغداد افترس الاشرف بن الملك الغازي بن العادل الكبير صاحب ميافرقين ان يناهض التتر . وعلق قتيلاً سريانياً من بلد بدليس كان قد اتاه من الحان الكبير بالفرمان وحارده كذلك الحكم التتر من عنده . ثم توجه الى دمشق وسأل الملك الناصر ان ينجده ليقاقل التتر ويتمهم عن الزحف الى سورية ويُعدهم ان امكن من بغداد كذلك . فاستخف الملك الناصر برأيه وانقلب عائداً الى ميافرقين ببلده . وعند ذاك ادركته عاكر المغول واحاطت به عجول يسان وعلى رأسهم اشحوط ابن مالك الملوك . وابتدوا سورا واقاموا ابراماً وجعلوا ياربون من الخارج حرباً شديدة ويقابلهم من الداخل بشدة اقوى . وظلت كذلك مدة سنتين لا يتوى التتر على اخذها . غير انهم بعدما دوخوا بغداد وحاصروا ميافرقين تتابع الوفود من لدن هولاء الى الملك الناصر يقولون له ليذهب الى خدمته . اكن زعماءه لم يرضوا بذلك . فوجه ابنه الملك العزيز في تحف وهدايا وافرة في خريف السنة ١٥٧٠ لليونان (١٣٦٩ م) واقام هناك الشتاء . كله وعاد في الربيع الى حلب بعد عيد القيامة وقال لاييه : ان ملك الملوك أمرني وقال لي : اننا لم نطلبك انت بل طلبنا اباك . فاذا كان مسلماً لنا فليأت والافتنح نسير اليه . فاستر الملك الناصر يبرج على الجنبين لا يتيسر له البقاء خوفاً من التتر ولا الذهاب خوفاً من

زعمانه وعبيده . فبقي متحيراً خائفاً مذعوراً .

(٥٠٩) وفي تلك الاثناء سار هولاء في طلب السلطان عز الدين واخيه ركن الدين ليذهبوا الى خدمته فاطاعاه ومشيا اليه وأحسن قبولهما . وتقدم اليها بان يتولى عز الدين من قيسارية الى تخوم ارمينية الكبرى وركن الدين من اق سرا حتى ساحل البحر بحدود اليونان . ثم انحدر الاخوان مسرورين مع هولاء حتى بلغوا ١٠ بين الثبرت من هناك عادا الى بلادهما واقام ركن الدين في بسطية وعز الدين في قونية .

وفي هذه المرة زار عز الدين دير مار برصوما ووعد البطاريك ديونديوس (١٢٥٢-١٢٦١) وعوداً طيبة . وفي هذه السنة مات بدر الدين صاحب الموصل في ٢٠ تموز وخلفه ابنه الكبير الملك الصالح اسمعيل وتولى علاء الدين ولده الوطاني سنجار وولده الصغير سيف الدين جزيرة قردو .

وفي خريف السنة ٦٥٨ للعرب وهي السنة ١٥٧١ لليونان (١٢٦٠ م) انحدر هولاء في اربعمائة الف فارس الى بلاد ما بين النهرين وتزل اولاً على خزان وتسلمها بالامان ولم يؤذ اهلها وهكذا تسلم اهلها كذلك . اما اهل سروج فلم يرسلوا ويطلبوا الامان فقتلوا عن اقصاهم . وامر هولاء بفتح نصب جسراً على الفرات في ملطية وفي قامة الروم وفي البيرة وفي قرقيا . وعبرت الساكنة بأسرها الى سورية وعبر كذلك هولاء مع طوقوز خاتون الملكة المؤمنة المحبة للمسيح .

وحدث قتل كثير في منبج وتفرقت الساكنة على قلعة البيرة وعلى قلعة نجم وقلعة جعبر والركة وبالس وقتل (٥١٠) جميع من كان فيها . وأقبل اولاً نفر قليل من المسكر الى قرب حلب وخرج اليهم الملك المعتزم الشيخ ابن صلاح الدين والتقاهم فازكسروا وهزموا الى المدينة وسار بعض التتر الى الميرة واخربوها . وبنوا الى حماة وتأسروها بامان وكذلك حمص . اما الملك الناصر فاخذ نساءه وابناؤه وعبيده وغادر دمشق الى بركة الكرك والشوبك . وزحف التتر الى دمشق وتأسروها بامان ولم يلحقوا اذى باحد . اما هولاء فقد تول على حلب بنفسه وأمر فابتدوا عليها سوراً يمدق بدائرتها كلياً . وحاربها حرباً عنيفة . وبعد ايام معدودة استحوذ على الاسوار التي بجانب باب العراق ودخل المدينة يوم

أحد مدخل صوم نينوى ٢٣ كانون الثاني من تلك السنة . وقتل فيها أكثر من قتلوا في بغداد .

أما كنيسةنا فقد سبق البعلبكيون قنوصاً سقفاً وكانت يومئذ انا الحفيد مطرانها فلشدة الخوف خرجت وسرت الى خدمة هولاء وحبست في قلعة نجم . واصبح شعبنا الحلبي دون راع فانطلق اغلبهم الى كنيسة اليونان فجهم عليهم التتر وقتلوا بهم وسبوا بقيتهم . واخيراً نهض القيس تدرس الارمني ابن اخي الجانليق مار قسطنطين واتفق معه الراهب كيورك فقصد التتر وأعتقا البقية الباقية ومضيا بها الى كنيسةنا .

وبعدما احتل التتر المدينة صوبوا الحرب نحو قاستها وأخذوها بالامان . ثم توجه هولاء الى حارم وسأل اهاليها ان يسلموا وهو يحلف لهم بانه لن يؤذي احداً منهم . فلم يطمئنا الى قوله لسخافة عقلم مدعين انه لا دين له ومقررين ان يحلف لهم فخر الدين الوالي فيبطوا ويسلوا (٥١١) فتقدم هولاء اليه فسار اليهم وحلف لهم . حينئذ فتحوا ابواب القلعة وانحدروا . وأمر ملك الملوك فقتلوا باسرههم رجالاً ونساء وابناء وبنات ورضائاً ولم يفلت منهم الا رجل حداد ارمني . وقتلوا كذلك فخر الدين المذكور لان ولي الدين بن صفى الدين زعيم حلب ادعى بانه هو الذي قتل اياه واخوته لانهم لم يسلموا المدينة . وبعد ما فرغ هولاء من ذلك كله اقام في فلسطين زعيماً يقال له كبرغا ومعه عشرة آلاف فارس . وعاد في الطريق التي قدم بها ووصل الى تلّ باشر وبلغه ان التتر احتلوا ميافرقين زقبضوا على الملك الاشرف صاحبها واحضروه اليه وهناك قتل به . وولى عليها رجلاً اميراً من اسراء الاشرف يقال له عبدالله . وحدث فيها جوع فتابع لم يسع له ميثيل حتى انه لم يبق من اهاليها جيعاً سوى مائة نسمة لا غير وقد احتلها التتر بعد عنا . جسيم .

وحكى لي احد اعيان ميافرقين الذي افلت منها افلات المحراك من اتون النار قال : اشتهيت يوماً ان آكل طعاماً من حنطة ولحم بقر مع أهلي فدفعت خمسمائة غرش ناصري حتى تمكنت من طبخ قدر واحد كافٍ لجمينا .

ولما عبر هولاء الفرات ارسل الى صاحب ماردن ليتزل اليه فأبى . فارسل اليه ابنه الملك المظفر وكان معه هو وبلد الدين صاحب الموصل في حصار حلب

وقال له : اذهب فانصح لوالدك كي يتزل ولا يتمرد فيهلك . ولما وصل الى ابيه وخاطبه لم يلبّ طلبه بل قيده وجسه عنده . وعند ذلك احاط المغول بماردين وابتدأوا بالقتال (٥١٢) ولولا ان وقع فيها الوباء . بساح الله سبحانه لما تيسر لهم ان يأخذوها . فقد مات اغلب اهاليها ومات صاحبها كذلك وعاد ابنه الملك المظفر الى هولاكو وسأله القاعة فاكرمه وأحسن اليه واحبه جداً واستخلفه موضع ابيه .

اما كتبوغا فلم يزل يبحث عن مكان الملك الناصر في البرية حتى وجّه اليه الجيش فادركوه وقبضوا عليه واتوا به اليه فبيّره الى ملك الملوك مخفوراً . ولا مثل بين يديه فرح به واكرمه ووعده بان يعيده الى ملكه .

وفي تلك الايام سار من قلعة الروم الى خدمة هولاكو اثربان شعون القيس المتوفى . فرحب به اجل ترحيب واحبه جميع ابنا الملوك والملكات . واقتنى دوراً ملكية وحدائق وجنان وحصوناً في سراغة وارزاقاً في بغداد واثور وقبوقية وفي سراغة ببلغ مجموعها في كل سنة خمسة آلاف دينار . وقد تمزّز به شعبنا القليل وحفظت كنائسنا وتأيدت في كل مكان على يده .

اما قوتوز التركي الذي تولى مصر فلما بلغه ان هولاكو ابتعد عنه وان الملك الناصر قد قبض عليه وأرسل اليه ولم يبق في فلسطين الا كتبوغا بعشرة آلاف فارس حشد جبوش مصر وزحف الى مرجع باشان تجاه جبل تلور وقاتل التت وانتصر عليهم . وقتل كتبوغا واستأسر اولاده وكان ذلك في ٢٧ رمضان من السنة ٦٥٨ للمرب (١٢٥٩ م) . فغضب هولاكو لما بلغه الخبر ونوى ان يستأصل شأفة الدولة العربية وتقدم بقتل الملك الناصر وقتل اخيه الملك انطاكر وجميع من معها . وتم ذلك يوم الاربعاء (٥١٣) في ٢٠ شوال عام ١٥٧١ للهجران (١٢٦٠ م) في الساعة التاسعة في مخاضة نوسهر والقمر في برج عطارد . ولم يُفلت الا محي الدين الفلكي المنجم وقد حكى لي يقول : اني لما كنت يوماً لدى الملك الناصر في خيته استدعاني اليه وسألني عن مولده ووصل اذ ذاك امير من المذول نحو الظهر ومعه نحو خمسين مغولاً وخرج الملك الناصر الى لقائه فقال له الامير : اننا قد أدبنا اليوم مأدبة لدى ملك الملوك وهو يقول لك ان تمضرت انت واخوك واولادك وزعماءك . فنهض الملك الناصر واخذ معه جماعته

وحشمه وهم نحو عشرين نفرًا وركبوا . وبعد قليل وصل عَشْرُونَ فارساً الى خيامنا وقالوا : فليحضر الفرسان والكثبة ولا يبقَ غير الخُدَّام ضاربي الحيام والطبَّاعين والرعاة . ولما ركبنا مضوا بنا ما بين اودية عميقة وانزلونا حيث كان عظاما المقول وغيرهم ممن كانوا واقفين امامهم . ولما دنونا وجعلوا يحادثوننا وثب المقول حالاً من ورائنا واحتاط كل واحد منهم بواحد مثا . فاشرتُ انا الى الزعماء . باثني فلكي عارف بحركات الكواكب فاستدعوني وأجلسوني وراءهم واستأقروا البتَّة بعيداً وذبحوهم . وقتلوا كذلك الملك الناصر واخاه والزعماء . ولم يقتلوا ابناؤه وما برحوا الى هذا اليوم مأسورين . ثم ذهبوا فاحضروا الصغار الباقين في الحيام وأجهزوا عليهم كذلك .

جلوس قوبلاي خان على كرسي مملكة المغول

تمرد في هذا الزمان ملك من ملوك الصين اعني الخُطاي او المتزئين وعصى على المغول . وكان لديه عساكر كثيرة يحكمهم (٥١٤) فيما قيل على اربعمائة مدينة . فاضطرّ مونككاخان ان يحشد جيوشاً ضخمة ويستعدّ للالتقى ذلك الملك الصيني بذاته . واستعجب اخاه قوبلاي الصغير ودخل بلاد الصين الجوانية وترك مكانه اخاه اربغوركا الاصغر . واتفق انه في اول الملتقى اصابه سهم ومات . فاخذ اخوه قوبلاي جميع العساكر التي وخرج من بلاد الصين الداخلية واقام خارجاً في مدينة كبرى تدعى خان باليق واتفق عظامه بان يكون هو الخان . اما اخوه اربغوركا الصغير فقال انه هو الأول بالمملكة مدعياً بان مونككاخان لما سافر الى الحرب سلم اليه المملكة في حياته . وحصلت منازعة ومقاومة شديدة بين الاخوان استغرقت سبع عشرة سنة الى ان عجز الاخ الصغير وقبض عليه وانتهى امره . وافضت المملكة الى قوبلاي خان الملك العادل الحكيم المحبّ النصارى وكان يكرم الكتاب والعلماء . والاطباء . من جميع الامم .

اما قوتوز فيعد ما قتل كسبوغا استولى على دمشق وعلى حلب وعلى سورية باجمعها واقام في كلّ مدينة حاكماً وكنة وعاد الى مصر ليحشد الجنود ويعود الى عاربة التتر قاطبة . ولما وصل قريباً من غزة نهض اليه بيبرز المعروف

بالبندقدار الصغير مملوك البندقدار الكبير وقتله . وزحف الى مصر وتسلمها
واسمى الملك الظاهر ركن الدين . وانهمزم اليه يومئذ صاحب سنجار اعني
علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل فولاه حلب . وقد شدد البندقدار
على جميع النصارى الذين في سواحل البحر وما برح يضيق عليهم حتى يومنا .
فاحتل (٥١٥) جميع قلاعهم ولم يترك لهم الا عكة وطرابلس وصور فقط .

وفي السنة التالية وهي السنة ١٥٧٢ للهـ لليونان (١٢٦١ م) عاد التتر الى سورية
وعلى رأسهم كوكالكى نون ووصل الى حمص وسبي وقتل . وكان قد انهزم
جميع اهل قرى سورية الى حلب فاسر كوكالكى ان يخرجوا جميعاً الى ظاهر
البلد وينزل اهل كل مدينة وقرية ويعودوا الى بلادهم . ولما امتلأوا الاسر
أجبر عليهم قاطبة ولم يترك منهم الا ابناً . حلب فقط . وقال لبيقتهم : لو
كتم تحببنا لما انهزمت من امامنا . وبعد هذا عاد كوكالكى من سورية وعبر
الفرات فاقبل المصريون تكراراً واحتلوا بلاد سورية كلها .

وفي صيف هذه السنة سار علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار رسالة
من مصر الى الملك الصالح اخيه صاحب الموصل يعرفه بقوة المصريين ويشير
عليه ان يترك هنية الموصل ويتوجه الى مصر حتى اذا ما انتصر البندقدار على
التتر يملكه لا الموصل فقط بل بلاد المشرق كلها . ولما كان ذات يوم ابن
يونس صاحب بدر الدين لدى الملك الصالح مذ يده تحت الطنفسة وغافله وخطف
الرسالة المذكورة وخروج من عنده وسار الى بعشيقا قريته . وبعد ساعة فتش
الصالح عن الرسالة فلم يثر عليها ف عرف ان ابن يونس قد اخذها . فارسل حالاً
عبدن من عبيده في طلبه . ولما وصلا اليه عرف ان قد قضي عليه وانه اذا
وقع في قبضة الصالح فسيهلكه . بناء عليه جاد على العبدن بالجائزة واشغلها
بالتسرب وقال لها : كلاً واشربا وتمثا في هذا المساء . وعند الصباح نذهب ممأ
الى الموصل . ولما سكر العبدان نهض ابن يونس ليلاً واخذ أهله وركب وسار
الى برطلي وقال للزعيم عبدالله (٦١٦) بن كوشو بلغ اهلك واهربوا جميعاً
لان الصالح مستعد ان يقتل النصارى وينهمز الى مصر . فقام كل من أمكنه
الحرب وانهزموا الى اربيل في أيام المنصرة . ولما نهض العبدان وقت الصباح
ولم يشاهدا ابن يونس تبادر الى ظنهما انه سبقهما الى الموصل فسادا واخبرا

الصالح . فتجوف جداً وقال يهزأ ابن يونس سيرة النور ويأتي بمكر يقبض عليه . فنهض واحد ابنه علا الملك وعبيده وانهزم الى سورية في اير تلك السنة . ووقع الحلف بين عبيد . في الطريق فركبوه وعادوا الى الموصل وتولى رئاستهم علم الدين سنجر . ولما وصلوا الى المدينة اعلت الراسلة تجاههم الابواب بالاتفاق مع ياسان شحنة النور وتركبان خاتون الحوارزمية التي لم تذهب مع الصالح . وظل العبيد اباماً قليلة ياربون المدينة . وكان فيها يومئذ رجل اسمه يحيى الدين . بن زبلاق اتفق معه جماعة من احياء الموصل وفتحوا لهم الباب فدخل علم سنجر واصحابه وانهزم ياسان ورفاقه ونحضت تركبان خاتون في القلعة . ولما دخل هؤلاء الموصل اضطهدوا النصارى اضطهاداً شديداً وانتهوا بيوتهم واجبروا على كل من لم يُسلم . وقد جدد كثير من القسوس والشمامسة والرزاء . والشعب ايمانهم سوى القليلين من آل سويد كيت وكوكي ونفيس الصانع . وعلى اثر هزيمة الملك الصالح المنجد الاكراد الى ضواحي الموصل وفتكوا بكثيرين من المسيحيين واحتلوا دير الراهبات في بيت خوربدا (قرقوش) واجبروا فيها على جماعة غفيرة وكثروا قد قدموا اليها من الاطراف واختفوا بها . وسار اولئك الملاعين الى دير مار متى واحتشد هناك آلاف من الفرسان والمشاة ونشمو يقاتلون الرهبان مدة اربعة اشهر وحاولوا ان يقتلوا السور فتشجع (٥١٧) الرهبان وادرقوا سلاهم بالنفط . وبعد هذا فصل الاكراد قسماً من الجبل العالي وخرجوا على الدير حجرة ضخمة انفلقت فلقين ونفرت احداهما السور واعتزت فيه اغتزاز الفص في الخاتم واستمرت راسخة . اما الفلقة الثانية فنفرت السور وجازت . وحاول الاكراد الدخول فاحتشد الرهبان واهل القرية المهزمون وجعلوا يقاتلون بالجار والسهم ولم يدعهم يدخلون الدير . ثم ابتنوا الشجرة بجدار وجص حلالاً . وفي تلك المامع فقتت عين أبي نصر رئيس الدير واصيب فريق بالسهم ثم استجمعوا القوى . ولما ضجر الرهبان من القتال طلبوا الامان وارتضوا بان يزودوا كل امعة الكنيسة وآتيها وان يجمعوا من الاهالي ذهباً وفضة ومصاعاً . اما الاكراد فلما بلغهم ان النور قادمون حالاً وافقوا الرهبان واخذوا كمية وافرة بلفت قيمتها الف دينار ذهباً وانكشفوا .

وكان اهالي قرية بيت سحرايا يؤمنون بمحاصرين في دير الحنافس فارتدوا
عنه وعبروا نهر الزاب يريدون اربيل فلقبهم الامير فورتكو بك واحتج بانهم
قادمون من قبل الاعداء فأجهز عليهم قاطبة رجالاً ونساء معاً .

اما علم سنجر فعندما دخل الموصل بلغه ان التتر قادمون من ناحية الجزيرة
فرحف اليهم فشدوا عليه وقتلوه . ثم اقبل جاسوس التتر وأخبر ان الملك الصالح
قادم الى الموصل فتأخروا ولم يدخلوها ريثا يسبقهم اليها الصالح المذكور . اما
سيف الدين صاحب الجزيرة فلما بلغه ان اخاه الصالح انهزم الى سورية تأهب
هو كذلك للهزيمة فسمع نورث شحنة (٥١٨) الموصل واقبل ليقبض عليه .
فاحتشد اهالي الجزيرة وحاولوا ان يفتكوا به فانهزم من وجههم ونجا . وحشد
سيف الدين النصاري وطلابهم باثني دينار ذهباً يوم عيد الصمود . وظلوا محبوسين
مأبوسين . ثم رزع ذهباً وافراً على الجنود واجتمع اليه نحو سبعين الف من
الاكرد ومضوا به الى سورية وظلت الجزيرة دون صاحب . عند ذلك نهض
جنديان احدهما غراز باس وثانيها محمد راس الحرس وتوليا الرئاسة واطلقا النصاري
من الحبس بعدما اخذا منهم سبعمائة دينار . ولم يفتكوا الا برجلين كلانا يختلفان
الى مسكر التتر .

وفي تلك الغضون حشد عز الدين ايباغ صاحب الهاديّة وهو مملوك بدران الدين
زها . ثلاثة آلاف فارس وسار الى الجزيرة ليمتلكها . فرحف اليه نورث
المذكور في ثلاثاية فارس عند نهر الدبس الذي ينحدر من جبل كردستان
فانتصر عليه وهزمه . وكان عبدالله صاحب ميافرقين قد اقبل مرة ليجتلبها
فامتنت عليه .

وفي آخر صيف هذه السنة تأهب عز الدين سلطان قونية للقُدوم الى خدمة
ملك المملوك اذ كان السفراء ياجون عليه في ذلك . ولما ضرب خيامه خارج
قونية مستعداً للرحيل وافاه جاسوس يقول له : ان الياق نون وصل الى اقرا
ومعه اخوك ركن الدين وفروانا وهما مستعدان ان يفتكوا باللاسلس ويذهبان
بك الى ملك المملوك . فلهع وترك خيامه واخذ بيته واهله وانهزم الى قسطنطينية
يريد ميخائيل ملك اليونان . ثم ان الياق نون مضى بالسلطان ركن الدين (٥١٩)
الى قونية واجلسه على العرش الملكي وتولى تدبيره فروانا .

وفي هذه السنة بعد صاحب مصر شاذي بن سواد من سلالة الخليفة ووتيه مع فرقة من الجند الى بغداد ليتولاه. ويجلس في تحت آياته . وأعاد الملك الصالح صاحب الموصل الى ولايته . وذاع الخبر بان التتر قد هلكوا قطبة بضربة سهامية منهم وان الطيور فقت عيونهم . تلك حكاية لا يصدقها الاطفال انفسهم . ولما شاف الخليفة الاسود بغداد برز علي بهادر في جيشه واجهز عليه . اما الملك الصالح فا كاد يدخل الموصل مساء الثلاثاء سابع كانون الاول حتى وصل المغول بفتة وعلى رأسهم سمداء المولي المسيحي الثاني المجيد . واحدقوا بالمدينة صباح الثلاثاء . والقمر في برج الأسد . وابتنوا سوراً خارجياً وجعلوا يقاتلون قتالاً عنيفاً . واستغرق القتال حتى الصيف وحدث في المدينة غلاء قاس . وارنحت عزائم المقاتلين وخارت قواهم . وجعل سمداء يبعث اليهم بكتابات طيبة ويعد الملك الصالح وعداً جيدة . فخرج الصالح في دفوف وطبول والمطربون والمشمودون يغنون ويرقصون امامه . وما ان وصل حتى احدث به جنود المغول ودخلوا المدينة ونهبوها وقتلوا اهاليها وسقوا علا . الملك ابن الصالح خمراً وأسكروه واوتقوا فخذيه بوتر القوس وثقاً شديداً حتى تغجر بطنه وقطعوا حقويه قطعتين وعاقروها على عتبي باب المدينة . وقتلوا هامة المحي بن زبلاق ومضوا بالملك الصالح الى الاردو وقتلوه هناك . وتولى الموصل ابن يونس المذكور . ولما انتهى امر (٥٢٠) الموصل توجه سمداء الى الجزيرة وابتنى حولها سوراً وجعل يحاربها الشتاء كله حتى الصيف .

واشتهر يومئذ حنثشوع مطران الجزيرة النسطوري وكان متنياً عن ابرشته . وعد ملك الملوكة بانه يطبع له ما شاء . من الذهب هذا لحبرته بصناعة الكيما ثم حصل منه امراً باطلاق الأمان لاهل الجزيرة واقبل اليها فهاضه ابن عزازباس وحاول ان يقتله فعارضه الزعماء . ووعدهم المطران بانه يحدد ملك الملوكة ويأتي باوامر منه في تأييدهم . وانطلق وفاز بفرمان بقرآن ان جمال الدين جولبع عد سيف الدين صاحب الجزيرة يتولى امرا وان عزازباس ومحمد بن رئيس الحرس يكونان وصيين وان المطران حنثشوع يكون مشيراً ومديراً ومثل أب وعاد الى الجزيرة فطاب قلب اهاليها وفتحوا الابواب . ثم دخل سمداء وامر التتر قوتوا الاسوار في ساعة واحدة ثم ارتحلوا واقاموا في وادي الشام بارض اربيل .

وفي السنة ١٥٧٤ لليونان (١٢٦٣ م) ارسل سيف الدين صاحب الجزيرة احد عبيده من مصر الى جمال الدين جولبع بده الذي كان متولياً بها وسأله ان يبعث اليه بذهب اخفاء في المحل الفلاني . فاستخرج الذهب ودفعه الى العبد فاخذه ومضى الى الهاديّة ليحدث غر الدين ايبك بما اوصاه مولاه . فأخذه غر الدين ومضى به الى سمداعو وهذا ارسل فاستدعى جمال الدين وعاتبه وقال له : اننا نحن قد وليناك وانت قبلت جواسيس مصر دون ان تجربتنا . فانكر عليه ذلك . فاخرج العبد القادم من مصر وحكم على جولبع بالقتل . وبعد قليل توجه الى الجزيرة وقتل ذبك الوصين وولى عليها المطران .

وفي السنة ١٥٧٥ لليونان (١٢٦٤ م) نهض الزكي الارمني احد جنود بدر الدين صاحب الموصل وادعى لدى ملك الملوك بان ابن يونس الذي تولى الموصل قد سرق اموالاً وافرة من زخائر بدر الدين واخفاها (٥٢١) وهو يحاول ان يأخذها وينهزم الى مصر ولما شعر باني اطلعت على سره سقاني ممناً يحاول قتلي . ولو لم يعالجني المرفق النصيني الطيب الصرايى لهلكت . فخط ملك الملوك وأمر ان يصفحوا ابن يونس ولما سطحوه سقطت رسالة من عنده ففتحوها وقرأوها فاذا فيها آية من قرآنهم مؤذاه : فليكن لسانهم مقتلاً في فهمم والقيود في اقدامهم والاطواق في اعناقهم ونحن نذبح ونسرق . فسأل ملك الملوك ما معنى تلك العبارات فقال له خصوم ابن يونس : انها كلمات سحرية موجبة اليكم . فأمر بقتل ابن يونس المذكور وولى مكانه الزكي الارمني وأطلق عليه اسم « الواشي » لانه وشى باني يونس المذكور .

وفي السنة ١٥٧٦ لليونان (١٢٦٥ م) في اسبوع مدخل الصوم انتقل من هذه الدنيا هولاء ملك الملوك . ولقد كان مثقفاً بحكمته وشهامة نفسه واعماله العجيبة المتنازة . وتوفيت كذلك طغوز خاتون الملكة المؤمنة في اثنا الصيف . وقد شمل المسيحيين في كل العالم حزن شديد على وفاة هذين النبراسين العظيمين المعززين للدين المسيحي .

بعد هولاء كو اباقا ملك الملوك

على اثر وفاة هولاء كو ايلخان اتفق ابنا الملوك والاقطاب المنول معاً على

ان يخلفه اباقا ابنه في عرشه لان الله سبحانه قد زينته بالعقل والحكمة والارادة الصالحة والرحمة . ولما استقرت له الملكة أصبح مشرفاً في كل حروبه ومنصوراً على جميع أعدائه . وأحبته جميع الشعوب الخاضعين لدولته .

وفي السنة ١٥٧٦ المذكورة (١٢٦٥ م) أقبل اتييموس (٥٢٢) بطريك اليونان الانطاكي مستصحباً ابنه ميخائيل بالبولوغس ليزفها الى آباءه ملك الملوك . وكان هولاكو ابوه قد وجه السفراء منذ زمان في طلبها ولما وصلوا الى قيسارية وردّهم نعي ملك الملوك فلم يروا ان يرجعوا .

وفي هذه السنة انهزم السلطان عز الدين من قسطنطينية وارسل يخبّر آل بركت المجاورين فوافوا ومضوا به خفية وما برج مقيماً هناك حتى اليوم .

وفي صيف السنة المذكورة بلغ الامر الى علاء الدين صاحب الديوان بان يتولى بغداد مستقلاً . وما عثم ان ورده خبر منهم مفاده ان اخاه شمس الدين صاحب الديوان قد قبض عليه في الاردن . وعند ذلك قبض قرايوغا شحنة بغداد على علاء الدين في ٢٠ آب واعتقله في داره وارسل فاخبر اخاه . ثم ورد الامر بان يسافر مكرماً مع اسحق الشاب الارمني كاتب قرايوغا ومع رجل معدي يقول انه سار ليهزم علاء الدين . ولما وصاوا الى الاردن قرر المدي البدوي ان اسحق عنه ان يكذب فصدر الامر بقتلها كليها . ومن ثم اخذت شؤون النصارى في التبلل .

وفي السنة ١٥٧٧ لليونان (١٢٦٦ م) سار البندقدار صاحب مصر الى هيتوم ملك قيليقية ان يدخل في طاعته ويؤدي له الجزية ويفتح طريق سورية ويمكن الناس من مشدّ القمع من بلده . فلم يتيسر الملك هيتوم ان يأتي طلبه لحرقه من التتر . فاستدّ البندقدار للقدوم الى قيليقية . اما ملك الارمن فسارع الى بلد الروم يستنجد بنجني زعيم التتر فقال له نجني : لا يمكنني ان اجي دون امر ملك الملوك . وفيما كان ينتظر الجواب هجم المصريون على قيليقية وكان هيتوم غائباً . فبادر اليهم اخوه قنططيل وولده (٥٢٣) وزعاوزه والتقوا عند حجر سرونند فانكسر الارمن واعتقل لاون ابن هيتوم الكبير يوم الثلاثاء ٢٤ آب من هذه السنة وقتل البارون تورس ابنه الصغير وانهزم سائر زعمائه . ودخل المصريون وعاثوا في قيليقية كلها وقتلوا وسبوا . واحرقوا سيس وقرصوا

فيسند كبرى و - ر سكاس . ولم يمت . سينان . وهم . كنية
ولده . وكنية مار رصوما لان باباها عالي من الحش . وقد احتلوا
المصيصة واياس وآطنة وأجلوا جمعا غفيرا من البنين والنسب . ولم يدلو الى
طرسوس . واحرقوا دير الباقساط وأبقوا على دير كويمجات لانهم شاهدوا فيه
راهبا يتكلم في اللغة العربية وقد توسل اليهم فانمضوا عنه وعن ديره . واقام
المصريون في قيليقية عشرين يوما ينهبون ويحرقون .

وبعد خروجهم وصل الملك هيتوم وقد استصحب عسكرا من التتر ومن
الروم . غبر ان هولاء بدلا من ان يساعدوه اشتغلوا بنهب ما تركه المصريون .
وبعد ذلك كله شرع هيتوم يفتكر في نجاة ابنه ووعد المصريين باموال
وحصون ثناء له . فاجابه البندقدار ان لي صديقا عند التتر اسمه سنقر الاشقر
فخلصه وسيده الي وخذ ابنك .

وفي هذه السنة حاول ركن الدين صاحب بلد الروم ان يهلك بروانة
الذي وطلده في التخت الملكي وساعده كل المساعدة في تعزيز اعماله . فلما
اطلع بروانة على ذلك أخبر زعماء المقول وكان ركن الدين عندهم فاشاروا
الى احدهم فقصد خيمته وهو متكئ هناك وألقى وترا في رقبته (٥٢٤) وخنقه
ومضوا به فدفنوه . واقام التتر بدلا منه غياث الدين وعمره يومئذ اربع سنين .
وفي هذه السنة استصدر ناصر الدين بابا اسرا من ملك الملوك وبطش
بزاكي الاربيلي وتولى الموصل .

وفي السنة ١٥٢٨ لليونان (١٢٦٧ م) وصل الملك هيتوم الى الموصل وارتحل
الى خدمة الملك اباقا ويكي امامه ابنه المأسور في مصر وطلب سنقر الاشقر
يخلص به والده . فاشفق عليه وقال له : ان سنقر ليس حاضرا الآن فارجع
انت الى بلدك وانا ابعث فأحضره وارسله اليك . فتركه هيتوم وعاد .

وفي تلك الغضون انتهى بروانة المتولي تدبير مملكة بلد الروم ان يصاهر
الملك هيتوم ويطلب ابنته . ففاوض الراهب فرسيغ الارمني مندوب الملك لدى
التتر . وهذا الجاهل اشار عليه بانه متى مر هيتوم ببلدك فاذهب الى زيارته
واعرض عليه طلبك فلن يردك خائبا . ولما عاد الملك من الاردو ووصل الى
فندق القراطي وبات فيه ليلته قصد بروانة في زعماء دولته وقدم له هدايا

ثمينة جداً وطالب ابنته . فخاف الملك وظنّ انه ان رفض طلبه يترصده في الطريق ويؤذيه فوعده بذلك وعاد الى بلده . وظلّ بروانة يراجع حتى قال له الملك : لا يمكن ان نضع العرس ما دام اخو البنت مأسوراً . فاصطبر بروانة حتى عاد الاخ الى بيته وزال المانع . غير ان الابنة توفيت وهلك برسيغ الراهب كذلك .

وفي صيف السنة ١٥٧٨ لليونان (١٢٦٧ م) أُلقي القبض على عَلم الرئاسة الكاتب القبطي في الاصل ومات في الحبس يوم الثلاثاء ٢٦ ايلول . وفي السنة ١٥٧٩ لليونان (١٢٦٨ م) وصل سنقر الاشقر من سمرقند وأرسل الى الملك هيتوم فوجهه الى مصر .

وفي هذه السنة (٥٢٥) في ايام الصوم الاربعيني قبض مار دنحاجائليق الناطرة على رجل تكريتي سبق فنادى بالاسلام وحاول ان يفرقه في دجلة . فثار نازر اهالي بغداد وراجعوا علاء الدين صاحب الديوان فوجهه الى الجائليق بعض الزعماء يطلب ذلك التكريتي فابى الجائليق ان يسلمه . فهاج الاهالي وأضرموا النيران في عبات ابواب القلّاية وتسَلّقوا الجدران يحاولون الفتك بالجائليق . فسع صاحب الديوان وارسل فاستحضره الى داره خفيةً من جهة النهر وأنجاه . ثم أرسل الجائليق الى الاردن يشتكي فأقبل السفراء ونقلوه الى هناك ورفع الشكوى على الاهالي فلم يكثر له احد فترك الاردن وانطلق الى اربيل وابتنى كنيسة في قلعها واستقر بها .

فتح انطاكية

وفي حزيران السنة المذكورة وجه البندقدار صاحب مصر جيوشه الى انطاكية واحتلّها بالسيف اذ لم يكن فيها حامية ولم يفكر من فيها ان يسلموها صلحاً . فدخلها المصريون واجهزوا على رجالها قاطبة وقروّضوا كنائسها الشهيدة وأجلّوا النساء والبنين والبنات وتركوها خالية خاوية حتى يومنا .

وفي صيف هذه السنة أُلقي القبض على مار حنثيشوع اسقف الجزيرة وصدر الامر بقتله . فسطحوه وجعلوا فوقه حجراً ضخماً وقلّقوا هامته وعاقبوها على باب المدينة . تلك كانت خاتمة الفظيعة بسبب تدخّله في الشؤون الدنيوية

ومحاربه ان يتولى ادينة فضلاً عن انهائه في الملاذ .

وفي تلك الاثناء . وجّه المصري الى هيتوم ابنه لاون مكرماً ووصل الى قيليقيّة في تموز السنة المذكورة فابتهج قلب ابيه وازح المسيحيون جميعاً بقدمه . ثم توجه الملك هيتوم الى بغداد ليشكر الملك الملوك نجاة ابنه واستقال من السلطنة بسبب شيخوخته وطلب (٥٢٦) ان يكون ابنه متولياً للملكة . فقال له الملك : متى حضر اليك ولياه الملكة .

وفي السنة ١٥٨٠ لليونان (١٢٦٩ م) حدثت زلزلة هائلة في قيليقيّة في الساعة الاولى من ليلة الاربعاء . واخربت قلعة سرونند وقلعة عماوس وقلعة الحجر الأصفر ودير بالوط الملك وهو اكبر اديار الارمن . وهلك في تلك الزلزلة زهاء ثمانية آلاف نسمة .

وفي تموز توجه الملك لاون ابن الملك هيتوم الى خدمة ملك الملوك فرحب به ترحيلاً جميلاً وفوض اليه سياسة مملكة ابيه .

وفي السنة ١٥٨١ لليونان (١٢٧٠ م) شخص صاحب مصر الى فلسطين وحاصر حصن الاكراد واخذ عذوة . ولم يقتل احداً بل اطلق الحرية لمن يريد الإقامة به او الذهاب الى طرابلس .

وفي خريف السنة ١٥٨٢ لليونان (١٢٧١ م) توفي هيتوم الملك المؤمن بدملة خرجت في صدره . واجتمع الاساقفة والزعماء في طرسوس وتوجوا ابنه لاون ملكاً يوم عيد الدنح (الظهور) .

وفي مدخل الصوم ونسب الامميليون على علا الدين صاحب الديوان في بغداد وهو راكب وضربوه بالسكاكين ولم يقتلوه فقبض عليهم وقطعت اعضاءهم واذاغ العرب بان المعتدين كانوا نصارى وقد اوسلهم الجائليق . بناء عليه أُلقي القبض على الاساقفة والرهبان والأعيان وحُبسوا في بغداد وقبض قتلوا بك كذلك على الجائليق وعلى اساقفته في اربيل وعذبوهم الصوم كله حتى صدر بعون الله تعالى الامر من الاردو باعتاقهم جميعاً . وبعد هذا سار الجائليق الى مدينة اشنو باذربيجان واقام بها .

وفي السنة ١٥٨٣ لليونان (١٢٧٢ م) حاول زعماء اليونان في قيليقيّة ان ينفذوا بالملك لاون . وما ان شعر بالديسة حتى قبض على البارون كبيرهم

فسمع رفاقه وانهمزوا الى احدى القلاع وارسلوا الى بلاد الروم (٥٢٧) يطلبون
 نجدة ليُسَلِّمُوا القلعة . اما الملك فبادر الى القلعة وحاصرها ووزب الارمن الذين
 فيها الى الزعماء اليونان وسَلَّمُوهم الى الملك فقتلهم جميعاً وأهلك مثلهم
 بهرام في قلعة عين زربة . على ان اليونان لما انهمزوا الى تلك القلعة استدعى
 الملك بطريزك انطاكية اليوناني " وسَيَّده اليهم واقسم لهم ان اغدروا فان
 يوثقهم عبد البطريرك لما ذهب اليهم قال لهم : ايكثروا مكانكم والا
 فانكم تهلكون جميعاً . ثم انقلب وقال للملك : انهم لم يطيعوني ولم يذلوا .
 فشر الملك بما جرى وبعد ما بطش بهم قبض على البطريرك كي يوجهه الى
 قسطنطينية فيقضي الملك بينها . ولما سَأَهُ الى الجنود ليضوا به الى العاصمة
 ووصلوا الى مدينة اياس نصبوا له خيمة على ساحل البحر وتركوه وقصدوا
 المدينة ليتاعروا لهم طعاماً واستغرقوا في شرب الخمرة الى الليل فارسل البطريرك
 الى بعض الملاحين اليونان الذين كانوا قريين واستدعاهم اليه وجعل يبكي
 امامهم وصرح لهم بان الجنود الارمن انما يريدون اهلاكه متى ركب البحر
 ولن يوصلوه الى قسطنطينية . فاشفقوا عليه واركبوه سفينتهم الصغيرة ومضوا
 به الى بلاد الروم التي كانت في حوزة الاتراك .

وفي هذا الزمان زفَ لاون ملك الارمن ابنته الى ابن بروانة بدلاً من
 اخته التي رفض ابوه ان يزفها اليه . وعقد الفريقان صلحاً ما بينهما وهماً .

وفي السنة ١٥٨١ لليونان (١٢٧٣ م) حدثت زلزلة سريعة في مدن
 اذربيجان ولاسيا في تغريز ليلة الاربعاء ١٨ كانون الثاني . وقوّضت الدور
 والمساجد وقم الابراج . وقد صان الله تعالى كتبنا وظلت الصلوات تقام فيها
 بحضور اليونان والارمن والناطرة والسريان . امّا سائر (٥٢٨) الاهالي العرب
 فقد غادر ربوات منهم المدينة ونصبوا الخيام في الجائن واقاموا هناك نحو
 شهرين ثم غادروا الى بيوتهم . ومات في تلك الزلزلة زهاء مائتين وخمسين نسة
 من العرب .

وفي صيف تلك السنة اقبل كُتَّاء سوريّة من عينتاب ومن البيرة الى بلد

قلودية من بيعة حسن د : كجاءت منى هو غاية البلد ثم قتلوه وأجلاوا
الاهالي قسبة بساء وحسياناً وعادوا ولم يبيتوا خيفة ان يدرهم جيش المغول .
وتأهبنا في تلك الايام للذهاب الى دير مار برصوما ولم نشر بتلك القافلة
حتى اشرفنا على البلد فرأينا مثل كرم اكتسحه البرد واقنا في دير سرجيس
حتى وافى نحو خمسين راهباً مسلحين وسرنا معهم الى الدير المذكور .

وفي السنة ١٥٨٥ للميزان (١٢٧٤ م) الحذر ملك الملوك في جيش كثيفة
الى بغداد وحدث فيها غلا . وقتل الثلث وظهر الجراد كذلك .

وفي أيام الصوم الاربعيني من تلك السنة كلف راهب نستوري من دير
مار ميخائيل الذي بجانب الموصل باسراة عربية . ولما فُضح امره جاهر بالاسلام
فاغتم المسيحيون غمّاً شديداً . واستقطع رهبان ذلك الدير وعمّ الراهب
المذكور ما جرى ولم يطيقوا احتمال ذلك العار والاحتقار فارسلوا الى طرفاشي
قائد الجيش المملوكي وطلبوا حضوره فاقبل الى الموصل وقبض على ذلك الراهب
الذي أسلم يريد البطش به . فشم الاهالي المسلمون وتحتسروا واحتشدوا عند
باب البلاط حاملين العصي والمصابيح وتهددوا القائد المملوكي معسرين له بانه
ان لم يطلق ذلك الراهب فتكروا به وبين معه . فخاف القائد وأطلقه . فاخذوه
واركبوه وطافوا به في المدينة وشمل جميع النصارى الحزن اكثر من الاول .

وفي تلك الايام شاء نصارى اربيل (٥٢١) ان يحتفلوا باحد الشانين
وعرفوا ان العرب متحذرون ليرعجوهم فارسلوا يستدعون الى مساعدتهم بعض
الترك النصارى المجاورين . فاقبلوا ووضعوا الصلبان في رؤوس الرماح . وخرج
مطران الناصرة وجميع الشعب يتقدمهم اولئك الترك راكبين . لما قربوا من
القلعة احتشد جماهير العرب وتناولوا الحجار وجعلوا يرجون الترك والنصارى معاً .
فتشتت شملهم وانهمزم كل النصارى وظلوا اياماً لا يجسرون ان يخرجوا ظاهراً .
وقد امتعض المسيحيون في كل البلاد بسبب ذلك اي امتعاض .

وفي هذه السنة توفي خراجا نصير الفيلسوف الفارسي الذي امتاز بالفضل في
كل العلوم الحكيمية ولا سيما في العلوم الرياضية وآلات الرصد والدوائر النحاسية
الكبرى ففاق فيها ما اقامه بطليموس في الاسكندرية . واختبر سير
الكواكب وأنته . واجتمع كثير من الحكماء من مختلف البلاد واقبلوا الى

مراعاة باذربيجان . وكانت جميع اوقاف المساجد والمدارس في بغداد وآثر تحت حكمه يوزع منها الاجور على المسلمين والطلاب الذين لديه . ففي هذه الفضون لما قصد بغداد ليشراف على تلك الاوقاف ادركه الأجل . واذاغ بعضهم انه مات مسوماً . وقد صنف كتباً جمّة في المنطق والطبيعات والالهيات واوقليدس ومحيطي بدقة تامة . وله كذلك كتاب اخلاق في الفارسية جمع فيه نصوص افلاطون واريسطو في الفلسفة العملية . وكان منشأ باراء الفلاسفة الاقدمين يعارض معارضة قوية في تصانيفه كل من يفهم .

وفي السنة ١٥٨٦ لليونان (١٢٧٥ م) توجه بعض الاشراذ ليلاً في كلون الاول وقرعوا باب يهودي صانع في الموصل . فقال لهم ماذا تريدون ؟ قالوا : اننا شبان وقد قصدناك لتعطينا نفقة . فاستخبرهم (٥٣٠) قائلاً : كم تريدون ؟ قالوا : عشرين درهماً . فدفع لهم ما طلبوا من ثقب الباب . لكنهم رفضوا وقالوا له : افتح لنا الباب . وظلوا نحو ساعة يتخاضمون ثم تسلق بعضهم السطح وانحدروا الى البيت وفتحوا الباب ودخل اصحابهم كذلك . وجلوا يضررون اليهودي حتى دفع لهم كل ما كان لديه . ولما حاولوا القتل به آتت امراته بنفسها عليه وتولت اليهم ان يشفقوا على شبابه ويقتلوا عوضاً عنه . غير ان اولئك الجباة القساء القلب قالوا لها : اننا سنقتلك ونقتله كذلك . وبعد ما ذبحوا زوجها طمنوها بالسكاكين وتركوها على آخر رمق وانصرفوا في المال الذي اخذوه . ولما اصبح الصباح اقبل بعض الناس وشاهدوا اليهودي مذبوحاً وامراته تنازع فاخبرتهم بما جرى وانظت انفسها في الساعة التاسعة .

وتوجه في تلك الفضون نحو ثلاثين رجلاً من فقراء العرب من اطراف سورية الى قليقية يريدون زيارة قبر الخليفة المأمون المدفون في طرسوس وتبادر الى الظن ان البندقدار صاحب مصر هو معهم وقد تنكر يريد جس سائر الدول . فقبض عليهم صاحب قليقية وزجهم في قلعة كبيرة . ولما انتشر الخبر في مصر جعل الوفود يتقاطرون في طلب المحبوسين وغلب على الظن ان ما قرره الارمن حقيقي وأبى لاون الملك اطلاقهم . عند ذلك احتشد خمسمائة فارس من الجيش المصري وزحفوا الى قليقية ايام الصوم الكبير عام ١٥٨٦ لليونان (١٢٧٥ م) فقاومهم الارمن وهزمهم . فاحتشد تكراراً نحو ثمانية آلاف وباغتوا البلد

شخص احد ووسموا اى ايس في حجر الاثنين من اسوع العجائب ٢٦ آدار (٥٣١) وفكروا بن وجدوا فيها وكان اطلب اهلها منزهين ومحدثين في مكان قريب خروفاً من المصريين . غير ان اللصوص الفريج وتبوا اليهم ونهبوا كل ما لهم وانتدعوا تياهم كذلك واكنهم لم يقتلهم .

اما المصريين فسارعوا من اياس الى المصيصة يوم الثلاثاء وفكروا باهاليها فتكأ ذريعاً واحرقوها ناسرها . وانتقلوا الى جشرا وتفرقوا في ضواحيها وسار بعضهم الى طرسوس وتصدروا برجها يوم السبت عيد الرب واذنوا فيه ثم تبسطوا حتى قوزيقس يقتلون ويفزون ويحرقون . وتوجه بعضهم الى سيس ولم يجدوا فيها خلقاً اذ كان الاهالي جميعاً متحصنين في القلعة فاحرقوا بعضها . وقد قتلوا خمسة وعشرين راهباً في دير البقهاط في جبلتهم الربان سليمان الشيخ الجليل وكتاب اسرار البطريك اغناطيوس المتوفى واحرقوا الدير المذكور ودير كونيئات وسائر اديار الارمن واليونان ومحرقوا دير بطريركنا الواقع في لطف سيس . اما البطريك فانهمزم الى قلعة بهجا واتوى هناك حتى زال الغضب . وظل المصريون هناك حتى آخر الاسبوع التالي لعيد القيامة ثم انصرفوا في غنائم وافرة . وأربى عدد القتلى على السنين الفأ . اما النساء والصبيان الذين استاقوهم عبيداً فلا يحصى عددهم . وكان في ذلك البلد زهاء عشرة آلاف من التركان تمذوا على المسيحيين فلما رجع المصريون أجبر الملك عليهم قاطبةً واستعبد بعضهم ونهب كل ما لهم .

وفي تلك السنة مات البرنس يوهيند امير دارابلس وخلفه ابنه الفتى ووجه الزعماء فاحضروا (٥٣٢) سير هندي والد صاحب قبرس الشيخ الرزين وفوضوا اليه تدبير الفتى وسياسة المملكة .

(يتبع)

المرأة الغلامية في الاسلام

بفلم حبيب ذبات (١)

من مخلفات غميد البلم والادب ، حبيب زيات ، اوراق ووثائق عديدة ، قدّر له ان يُبَوِّبَ قسماً منها وما نحن ننشر اليوم هذا الدرس الطريف عن « المرأة الغلامية في الاسلام » الذي مبروق قراء المشرق الكرام بما فيه من نكتة وظرف وبها نجد في المؤلف من حب العودة الى الاصول ومن الولع في التنقيب ما امكده عن امور قلّ ان اهتم بها مؤرّخو المصور النابرة مع انها تُطَيِّحُ صورة حيّة عن الجوّ الاخلاقي والادبي في تلك الايام . اذ لا يستطيع مؤرّخ ما اذا طارت به النفس الى تأريخ فئة من المصور الماضية الا ان يتوقف عند بعض المظاهر الیوبية التي كان لها اليد الطولى في توجیهه سياسة او في توطيد علاقات . وسنشر في عدد منيل من هذه المجلّة درساً آخر شيئاً عن « حمل اللحن في الاسلام » .

وما ترك لنا ان تقدّمه للقراء الكرام وثنائق مبعثرة جمعتها يد ذلك العالم الكفوء وحفظتها الى ان نُثَقِّلَ الينا وهي عبارة عن رسائل اصلية تُبَوِّدِلت بين احبار الكنيسة الملكية والمجامع الرومانية . فان شرناها بكلامها - ونحن صانعون - ادّينا لتاريخ الكنيسة الملكية المزينة خدمة جلّی في ما ينطق بالعدد الكبير من ابرشياها السورية واللبنانية . وقد فضّلنا نشر هذه الوثائق دون تأويل ولا تعليق نابین توقفتها الزماني فقط اذ هي كافية لتطلع القارئ على الامور التي كانت حجر عثرة او محور تبادل او نقطة انفراج ، تاركين للمؤرّخ ان يستفيد منها ويقابل بين الواحدة والاخرى كي يستخلص منها ما له ان يستخلصه . وباقه الكريم التوفيق وهو حبيبنا .

الاب ا. عبده خليفه اليسوعي

المقدمة

في كتب القهرست لابن الدليم الوراق أسماء عدة محضات في اخبار النساء ووصافهن وأهم ما ذكر منها «كتاب من تشبه بالرجال من النساء» لابي الحسن المدائني (ص ١٥١ من طبعة القاهرة) وهو اليوم اعوز كتاب نسا لاستطلاع اخبار المرأة الغلامية في الاسلام وتعرف المحل والمقدار الذي بلغته في الحضارة والنظرف في الحياة الاجتماعية بيد اننا لا ندرى هل الم في مؤلفه بنوع النساء المترجلات في اخلاقهن وازيائهن وسائر احوالهن ام اقتصر فقط على سرد أسماء من اشتهر منهن بتقليد الذكور وروى بعض غرائبهن وما كن يفردن به من المحاسن والمساوى ولم نعلم على كتاب آخر في معناه وغاية ما وقفنا عليه من أسماء الكتب الموضوعة في اخبار النساء عامة ما يأتي :

كتاب الفيان والجواري للجاحظ^(١).

كتاب النساء لابن قتيبة^(٢).

كتاب اخبار المتطرفات لابي الطيب الرشا^(٣).

كتاب اخبار النساء وكتاب من وصف امرأة فاحسن^(٤).

كتاب تحف الوصائف في اخبار الولايد لابي الفرج الاصبهاني^(٥).

كتاب الوصائف للبرزباني فيه وصف احوال النساء ونمونه وضروبه وطرقه واخبار المنين والمفتيات الاحرار والاماء والبيد^(٦).

كتاب اخبار النساء للسيداني^(٧).

كتاب اخبار النساء للميثم بن عدي^(٨).

كتاب النساء للجاحظ^(٩).

(١) الروابي بالرفيات للصفي خزانة اكسفر Seld. Arch. d 28 f° 11-12

(٢) القهرست ١١٥ (٦) القهرست ١٩٢

(٣) ١٣٦ ٤ (٧) معجم الادباء لياقوت ١٢٣: ١٤

(٤) ١٢٩ ٤ (٨) معجم الادباء ٣١٠: ١٩

(٥) خاتمة الارب للتويري ٩٨: ٥ (٩) ١٠٨: ١٦ ٤ ٤

- كتاب اخبار النساء لمروان بن علي المتحم^(١) .
 كتاب النساء لخفص بن عمرو النميري^(٢) .
 كتاب النساء لاحمد بن عبدالله الرقي وكتاب الزينة وكتاب الري له^(٣) .
 كتاب اخبار النساء لابن حاجب النعمان^(٤) .
 كتاب النساء وما جاء فيه من المخر ومحاسن ما قيل فيه من الشعر والكلام الحسن^(٥) .
 كتاب قيان الحجاز وكتاب القيان لاسحق بن ابراهيم الرصبي^(٦) :
 كتاب اخبار المتطرفات لابي الفضل احمد بن ابي طاهر او لابنه ابي الحسن^(٧) .
 كتاب اخبار النساء لابن الشاه الظاهري^(٨) .
 كتاب المتطرفات والمتطرفين لسيد الله احمد بن ابي طاهر^(٩) .
 كتاب النساء لابراهيم بن القاسم النيرواني^(١٠) .
 كتاب المستطرف من اخبار الجواردي لجلال الدين السيوطي من مخطوطات دار الكتب
 الظاهرية بدستق ٣٠ صفحة (رقم ٥٥٨٦ : مجموع عام) .
 وفي تضاعيف الكتب والمجاميع الادبية فصول شتى واوصاف للنساء
 كالباب السابع والمشرين في النعوت والصفات وهي اربعون نوعاً : الحادي عشر
 في النساء ولباسهن وزينتهن من التذكرة الحمدونية وقد كان هذا الجزء منها
 محفوظاً في خزانة نور الدين بك في القاهرة .
 وقد عبث الدهر بمعظم هذه المؤلفات المستعة واضاعها اثر ابعاد عين وحرمنا
 بفقدنا اهم ما يُستند اليه في تعريف المرأة والقينة والوصيفة الغلاميات ولعل
 انفس ما كان منها كتاب الزينة وكتاب الري للراقي ثم كتاب اخبار المتطرفات
 لابي الطيب الوشا لما قد يكون اودعه فيه الوشا من اوصاف النساء والولائد
 والاماء في الحلي والزي والملبس والتعطر والمعاشر والمفاصلة كالتي اشار اليها
 وسرد جانباً منها في كتابه الموشى المطبوع لاول مرة في لندن ولم يبق لنا
 اليوم بعد ضياع هذه النسايات الا تفتية كل سفر مطبوع او مخطوط وتلقط كل
 وصف او اشارة في النثر والنظم تشف عما وراها من نعت الغلامية في

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (١) معجم الادباء ١٩ : ٢٦٢ | (٦) الفهرست ٢٠٢ |
| (٢) « ١٠٠ | (٧) « ٢١٠ |
| (٣) معجم الادباء ٢ : ١٣٣ | (٨) « ٢١٨ |
| (٤) الفهرست ١٩٣ | (٩) « ٢١٠ |
| (٥) « ٢٠٦ | (١٠) معجم الادباء ١ : ٢١٦ |

حجراتين عباسية وعاطفية وعد من انصاره وتوابعه عليه في يد رماة محزون
العربية في الشرق والذوب حتى اجتمع لنا من هذه المطالعات والتشقيقات المضنية
نادر وروايات ولُح وحكايات تتل جانباً من خصائص الفلامية وفوارقها وما
امتازت به في المشرق من شكل وزى وتظرف وتشطر وعبث ومجون وترين
وافتان ودل وحظوة ما يتشوق الى معرفته كل مطلع الى غرائب الحياة
والمجتمع العربي في الدهر السالف راعب في النظر الى اعجب وجه وقد في
الاسلام فتن بها الخلفاء والحلائق وبز بها الشرق كل ما اشتهر به العرب من
اغراب وإبداع وجرة على خرق العادات والخروج عن المألوف لاستدعاء الانتظار
واجتذاب القلوب .

المرأة المترجلة في الجاهلية واولئل الخلافة الاموية

في صحيح البخاري ان الرسول لعن المتشبهين من الرجال بالنساء . والمنشبهات
من النساء بالرجال^(١) اي في زيهم وهيئتهم وعن ابي هريرة انه لعن الرجل يلبس
لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل^(٢) وقيل لعائشة : ان المرأة تلبس النمل فقالت :
لعن رسول الله الرجل من النساء^(٣) لان النمل كانت لا تستر كل القدم وبعض
الساق خلافاً للخف . وهذه الاحاديث تدل دلالة بيّنة على ان داء الترجل في
النساء كان شائعاً في البادية وظل معروفاً في الاسلام .

وروي عن نافع انه قال : كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن
عبد المطلب اذ اقبلت امرأة تسوق غنماً متنكية قوساً فقال عبد الله بن عمرو
أرجل انت ام امرأة فقالت امرأة فالتفت الى ابن عمر وقال : ان الله تعالى
لعن عن لسان نبيه (صلى الله عليه وسلم) المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال
بالنساء^(٤) .

واشار الذهبي الى الالبسة التي تشبه بها المرأة بالرجل فقال : اذا لبست

(١) صحيح البخاري ٥٢ : ٧

(٢) سنن ابي داود ١١٨ : ٢

(٣) كتاب الكباير للذهبي ١٣٠

المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والاكام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتاحتهم لمة الله ورسوله ولزوجها^(١) وهذا بعض ما كانت المرأة تقلد به الرجل وهناك البسة وازياء اخرى كانت تختلف باختلاف الازمنة والعادات . ومن اشهر المترجلات في الصدر الاول غرة الميلاء احدى المهنيات المحنات في عهد جيان بن ثابت قيل كانت تلبس الملا . وتشبه بالرجال فسميت بذلك^(٢) وتلحق بها ام سعيد الاسلمية وبنت ليحيى بن الحكم بن ابي العاصي «كان المخنث الدلال ملازماً لها وكانتا من امجن الناس تحرجان فتركبان الفرسين فقتبتان عليها حتى تبدو خلاخيلهما فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت اخيك فقال : افضل فاستدارها وامر بئذ فحضرت في طريقها وغطيت بمحصر فلما مشيت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها وطاب الدلال فهرب الى مكة^(٣) وليت الراوي ذكر لنا ايضاً ما فعل الدهر ام الرجال بام سعيد وكيف كانت منيتها . وفي ايام الحجاج تزوج الضحاك الشاعر باربعة نسوة وكان قد سمع الحجاج يرغب في ذلك ووصفهن بايات قال في الزوجة الثالثة منهن :

وثلاثة ما ان تُواي بثوبها مذكرة مشهورة بالتبرج^(٤)

وهو ما يشير الى رقة ثوبها وشفوفه عن بشرتها . وقد غابت عنا اكثر اخبار النساء واحاديثهن في الخلافة الاموية وقد غطت عليها جلالة الحوادث وشدة التنارع بين الطالبين والامويين وضاع معها معظم درارين الشراء المتقدمين فلا ندري من شؤون المرأة فيها واوصاف الجوازي والوصائف والاماء ما يبنى عليه حكم او يصح فيه تمثيل على ان البادية لم تخل قط قبل الهجرة وبمدها من فتيات مذكورات يتشبهن بالرجال في اللباس والتمتع والتلثم وطلب القنص والنزو وركوب الحيل ومعاورة الشراب كالفتيان ومن الامثلة في ايام عمر بن ابي ربيعة ما حكاه عمر عن صديق له من عذرة يقال له الجعد بن مهبج وصف له فيه يوم الدوحة قال :

(١) كتاب الكباثر ١٣٩

(٢) الاغانى طبة بولاق ١٦ : ٨٣

(٣) الاغانى ٢ : ٦٤

(٤) ذيل الامالي والتوارد للقالى طبة بولاق ٢٨

« بي رجل در مان كثير من نعمة لا يحدره ويرويه انما وقطر القيث
ارض كلب فانتجعت اخواني منهم فاوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني حمة^(١)
المان وكنت فيهم في خير احوال ثم اني عزم على موافقة ابلي بما لهم يقال
له الحوزان فركبت فرسي وسطت^(٢) خلفي شرا بيا كان اهداه لي بعضهم
ثم مضيت حتى اذا كنت بين الحمي ومرعى النعم رفعت لي دوحة عظيمة فنزلت
عن فرسي وشددته بغصن من اعصانها وجلست في ظلها فيبينا انا كذلك اذ
سطع غبار من ناحية الحمي ورفعت لي شخوص ثلاثة ثم تبيت فاذا فارس يطرد
مسلحاً^(٣) واتقاً فتألمته فاذا عليه درع اصفر وعمامة خزر سوداء واذا فروع
شعره تضرب خصره فقلت غلام حديث عهد بعرس اعجلته لذة الصيد فترك
ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جاز علي قليلاً حتى طعن المسحل وثني طعنة للاتن
فصرعها واقبل نحوي وهو يقول :

نظنهم ملكي ومخلوكة كركك لامين على نابل^(٤)

فقلت انك قد تعبت واتعبت فلو ترات فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن
من اغصان الشجرة والتقى رحمه واقبل حتى جلس فبجل يحدثني حديثاً ذكرت
به قول ابلي ذؤيب :

وان حديثاً منك لو تبدلني حتى النحل في ألبان عوذ مطلق^(٥)

فقلت الى فرسي فاصلحت من امره ثم رجعت وقد حسر الهامة عن رأسه
فاذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش فقلت : سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك
واحسن صنعتك فقال : بم ؟ قلت : بما راعني من جمالك وبهرني من نورك
قال : ما الذي يروعك من حبس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدري أينهم
بعد ذلك ام يأس قلت : لا يضع الله بك الا خيراً . ثم تمدنا ساعة فاقبل

(١) حمة المان مطه .

(٢) سط عائق .

(٣) المسحل الحمار الوحشي .

(٤) الملكى الطنة المستقيمة والمخلوكة الطنة الموجة واللام سهم عليه ريش لزّام

بلا ثم يسهه بضاً والنابل صاحب النبل .

(٥) عوذ جمع عاذ وهو الحديثة التاج الى خمسة عشر يوماً ثم هي بعد ذلك مُطلق .

عليّ وقال : ما هذا الذي سبطت في سرجك ؟ قلت : شراب اهداه اليّ بعض اهلك فهل لك فيه من أرب قال : انت وذاك فاتيته به فشرب وجعل ينكت احياناً بالسوط على ثنياه فجعل والله ينيين لي ظل السوط فيمن فقلت : مهلاً فاني خائف ان تكسرهن فقال : ولم قلت انهن رقاق وهن عذاب ثم رفع عقيرته يتغنى :

اذا قبل الاساس آخر بشي ثاباه لم يأم وكان له اجرا
فان زاد زاد اقه في حسنه مثاقيل يحرقه عنه جا الوزرا

ثم قام الى فوسه فاصلع من امره ثم رجع فبرقت لي بارقة تحت الدرع فاذا ندي كأنه حتى عاج. فقلت : نشدتك الله امرأة ؟ قالت : اي والله الا اني اكره المهر " واحب الغزل . ثم جلست فجعلت تشرب معي لا اقد من انسا شيئاً حتى نظرت الى عينيها كأنها عينا مائة مذعورة فوالله ما راعني الا ميلها على الدوحة سكوى فزمن لي والله القدر وحسن في عيني ثم ان الله عصني منه فجعلت حجرة منها لما لبثت الا يسيراً حتى انتهت فرعة فلائت عمامتها برأسها وجالت في متن فوسها وقالت : جزاك الله عن الصبة خيراً قلت : اما تزويدني منك زاداً ؟ فناولني يدها فقبلتها فشممت والله منها ريح المسك المقتوت فذكرت قول الشاعر :

كأخا اذ تنقضى النوم وانتهت سحابة لم لها عين ولا اثر

قلت : واين الموعد . قالت : ان لي اخوة شرساً واباً غيوراً ووالله لأن اسرك احب اليّ من ان اضرك ثم انصرفت فجعلت اتبعها بصري حتى غابت فهي والله يا ابن ابي ربيعة احلطني هذا المحل وابلقتني فقلت له : يا ابا المسر ان القدر بك مع ما تذكر الميخ فبكى واشتد بكازه فقلت : لا تبك فما قلت لك ما قلت الا مازحاً ولو لم ابلغ في حاجتك بالي لسيت في ذلك حتى اقدر عليه فقال لي خيراً .

فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامي فشد على بعير له وحملت عليه قبة حمراء. من ادم كانت لابي ربيعة المخزومي وحملت ممي

(١) في الاصل المطبوع : اكره البشير وهو نصيف يخالف ما يقتضيه الكلام والصحة .
المهر اي الفجور .

الف دينار ومطرف خزر وانطلقنا حتى اتيت بلاد كلب فمشينا عن ابي الجارية فوجدناه في نادي قومه واذا هو سيد الحلي واذا الناس حوله فوقفت على القوم فسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال : من الرجل ؟ قلت عمر بن ابي ربيعة بن المعيرة فقال : المعروف غير المنكر فما الذي جاء بك ؟ قلت خاطباً . قال : الكفة والربعة . قلت : اني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة لشرفك ولكنني اتيت في حاجة ابن اختكم الصدري وما هو ذاك فقال : والله انه لكفة الحب رفيع البيت غير ان بناقي لم يقعن الا في هذا الحلي من قریش " فوجت لذلك وعرف التخير في وجهي فقال : اما اني صانع بك ما لم اصنع بغيرك قلت : وما ذاك فثني من شكر قال : اخبرها فهي وما اختارت قلت : ما انصفني اذ تختار لميري وتولي الحيار غيرك . فاشار الي الصدري أن دعه يخبرها فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فارسلت اليه : ما كنت لاسئد برأي دون القرشي فالخيار في قوله حكيمه . فقال لي : انها قد وثقت امرها فاقض ما انت قاض فحمدت الله عز وجل واثنت عليه وقلت : اشهدوا اني قد زوجتها من الجعد بن مهجع واصدقتها هذه الالف ديناراً وجعلت تكريمها البدر والبهر والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسأله ان يبني عليها في ليلته فارسل الي امها فقالت : أخرج ابنتي كما تخرج الامة فقال : هجري " في جهازها فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحرم ثم أهديت له ليلاً وبنت انا عند الشيخ فلما اصبحت اتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج الي وقد أثر السرور به فقلت : كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك فقال لي : ابنت لي والله كثيراً بما كانت اخفته عني يوم اقيمتها فأتتها عن ذلك فانشأت تقول :

كسوت الموى لا رأيتك حازماً	وقلت فتي بعض الصديق يريد
وأن بطرحني او يقول "نتيئة"	بضراً صا برح الموى فتعود
فوديت عابي وفي داخل الحشا	من الوجد برح فاعلمن شديد

فقلت : أقيم على اهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وانا اقول :

(١) معلوم ان الخليفة معاوية تزوج يسرون الكلية وهي ام ولده يزيد .

(٢) هجري اي اسرعى وبادري .

كعبت احبي الدوي ما كان مائة ولي لاسم اسوانب حائل
اما اسنحت مني المكادم والعل اذا اطيرحت اني لاني بذال^١

وهذا المثال وحده جامع لكل ما كانت المرأة في البادية تطمع فيه لمحاكاة الرجل في لباسه وهيئته وعمته وركوبه واعتقاله الرمح وتنبه القوس للقص ومطاردة الوحش و... قوته الشراب حتى السكر ولكنها كانت للامعة الخالية عليها تقف عند حدود الدين والانس ومع محبتها للانزل كانت تكره العرواي الفجور كما قالت الفتاة الكلبية

لقب الزلامية

يراد بالزلامية المرأة المشبهة بالزلام في زيه وشكله وهيئته وهو ما وصفها به ابو نواس بقوله :

وجارية لها شكل النواني فتاة السن في زبي الزلام^٢
واتم منه مطابقة قوله فيها ايضاً :
مذكرة مؤنة مهابة اذا برزت تشبهها غلام^٣

وله فيها اوصاف اخرى سياقي ذكرها قريباً فاق بها سائر الشعراء. ومن جرى على سنه في نعتها المعلّي الطائي فقال من ابيات :

موردة الحدين بهزيمة الحشا سفرة الصدغين فائمة الطرف
نفس الثواب الرجال قردا وناف من لبس الفلادة والشنف^٤

ولا ريب ان هذا اللقب نشأ في اوائل الخلافة العباسية وقد خلا الشعر الاموي منه لان القوم وقتئذ كانوا احدث عهداً بالبدابة واقرب الى الفطرة فتزهت اشعارهم عن كل ما يخالف السجية من آفات الحضارة فلم يقيم منهم من تصبى غير النواني والمها او تنزل بالظلمان ولا يبعد ان بعض التشبيه بالذكور

(١) الاغانى ١٠ : ٥١ - ٥٣ وجهرة الاسلام ذات النثر والنظام لابي التمام مسموعة من رسلان الشيرازي خزائن ليدن 27 287 Arabe

(٢) ديوانه طبعة القاهرة ٣٣٢

(٣) ديوانه خزائن باريس ٦٨٣٠ ص ١٨٦

(٤) كتاب طبقات الشعراء لابن المقتر ١٦٨

في الوصائف الامويات كان قد بدأ ينشر في بعض المنازل والمدن كطعم الشر اي قصه كشمير الظلمان لانه كان معروفاً في الجوارى الرريات في القسطنطينية ومن اشبهى الى اهل الشام واعمل هذا الترجل كان ايضاً يشاهد في نسا. فارس وبتال للمرأة المترجلة عندهم زمرودة وهي التي دعاها شاعر الاغاني زمرودة فقال :

بليت زمرودة كالصا المرء واعبت من كندس

وقيل في تفسيرها الزمرودة لغة في زمرودة وهي المرأة التي تشبه الرجال خلقاً وخلقاً^{١)}.

الرقيق والوصائف والنساء الغلاميات في الخلافة العباسية

كان الترجل في اخلافة العباسية لا يكاد يجاهر به ويتخلق باخلاقه سوى الاماء والوصائف والجوارى الاعجبيات دون الحرائر من الاشراف لانهن كن يتعرفن عن هذا التقايد والابتذال ولذلك لما وصفت للتوكل على الله ربيعة بنت المباس بن علي « فخلعت اليه فتزوجها سألها ان تطم شرهما وتنسب بالماليك فابت عليه فاعلمها انها ان لم تفعل فارتقا فاختارت الفرقة فطلقها^{٢)} » وكان المتوكل احد الخلفاء المرمين بالنظر الى الغلاميات وسماع التغزل بين في الشعر كما سيجي .

وقد ذكر بعض الرواة والاعباريين تقلب حب السري اي التزوج بالاماء على اهل الصدر الاول بعد فتح البلدان ونقل المجرى نكته عدد فيها ثلاثة من اولاد الخلفاء الاولين ابي بكر وعمر وعلي بن ابي طالب كان كل منهم ابن أمة اي ام وند كما كان يقال لها وسرى هذا الشغف بالجلانِب الى جمهور الخلفاء العباسيين فلم يهتم منهم من امة عربية هاشمية الا اثنان فقط ونشأ سائرهم هجيناً اي وليداً من ام غير عربية خلافاً لبني أمية فان الهجنة كانت تقعد بن كانت امه سبية او جلية عن تبوأ عرش الخلافة كسلة بن عبد الملك

(١) الاغاني ١١ : ٢٧١

(٢) المعاصم والاضداد المنسوب للجاحظ طبعة ليدن ٢٣٣

وعنه من ان الحُلما، وكان كثيرين يرتأون ان صياع الخلافة كانت عليه الترويج بالاجنسات ولذلك قال ابو العلا المعري :

ألم ترَ للخلائف كيف ضاعت إذا كانت أبنا السراي

ولما كان أناس دائماً على دين الملوك عم حب الاغتراب المتوجين في الاسلام حتى ندر جداً من لم تخاطب دمه العربي نقطة اعجمية في ما خلا اعراب البادية في الغالب ومن هنا تعلم ما في ازدها. الماهين بالمروبة من الافراط والدعوى والمغالطة في الال. - الصحيح .

وحكى الاصمعي : اهل المدينة « كانوا يكرهون اتخاذ اسيات الاولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحدير بن علي بن ابي طالب » .^(١) محمد (بن ابي بكر) وسالم بن عبد الله (بن . . . سمعوا اهل المدينة فقها وورعا فرغب الناس في السراي »^(٢) .

ولم يتصف أبناء السراي الهجنا. بالفقه والورع فقط بل اشتهروا ايضاً بالشجاعة والاقدام حتى قالوا: «ما ضرب رؤوس الابطال كمين اعجية»^{٢١} وعلل عمر بن الخطاب حبّ التسري بقوله «ليس قوم اكيس من اولاد السراي لانهم يجتمعون غز العرب ودهاء النجم»^{٢٢}.

وامل هنالك سبباً آخر كان الغالب في اثار الاعجيبات على العربيات وهو قول رجل من ابنا. المهاجرين : « ان ابنا. هذه الاعاجم كانوا نقبوا الجنة وخرجوا منها واولادنا كانوا مساجير التناير » (يعني بالمجرة الحُبة التي يلقب بها الوقود في التنور ونفثاها السخام ولا يخفى صدق هذا الوجد).

ولهذه الاسباب كلها فشا حب الجلائب الاجنيات بين طبقات الخاصة
والعامة وغلب الدم الاعجمي على الدم العربي في المواليد والانساب وكان تأثيره
في الاشراف والخلفاء اشد منه في سائر الناس لقدرة الملوك ورجال الدولة على
تقد اثمان الحواري منها بلغت فضلاً عما كانوا يحتفظون بهن من السيايا والحرمان

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ٨٠٠٤ طالع مقالاتها اهمات اشراف المسلمين في المزارعة
الشرقة ٢ : ٩٥-١٠٢

(۲) عیون الاخبار لابن قتیبة ۲ :

(٣) الكامل للمرد (مطبعة التقدم) ١ : ٢٥٤-٢٥٥

للوائى كان العنال والقواد يتقربون بهن اليهم ومن الزريب ميل كثير من الطالبين
والهاشمين الى الحبشيات والبربريات على ما اتصفن به من القمة والسواد وقلة
الصباحة ولا ريب ان مثل هذه القابلية العجيبة التي كانت تعاقب بين الشهد
والحنظل صادت الى ابن المعتز من آبائه واجداده وهي التي ألمات عليه قوله
الذي ملأه ظرفاً وحناناً :

قلبي وثأب الى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه
يقيم باليمن كما ينبغي ويرحم القبح فيبواه

شكل الغلامية وزياها

اول اوصاف الغلامية تشبها بالقلام الاسود الذي نسبت اليه قال ابن
الرومي :

رب فتاة حرة المقلد تختال في زي غلام اسود^(١)
وقد اجاد ابو نواس في وصفها وبلغ الثانية في تعريفها واثار الى نشأتها
فقال :

كفرو البرق في جنح الظلام	وشاطرة نخبه بمن وجه
واوى للفوف وللآثام	رأت فري الغلام ام حناً
حكته في الفصال وفي الكلام	فما برحت نصرء فيه حتى
يفضل في الشطارة والمُرام	وداحت تنطيل على الجوارى
وتلعب للجانة بالهام	تعاف الدف تكرجاً وفنكاً
اذا دارت معقة المدام	ويدعوها الى الطيور حذق
وترمي بالبنادق والهام	وتفندو للدوالج كل يوم
وترخي كسها قل الغلام ^(٢)	ترجل شرها ونطيل صدغا

وهذه الاوصاف مرآة الغلامية في الاسلام وهي نسخة شكلها واخلاقها كما
كانت في زمن ابي نواس والشاطرة في اللغة كل امرأة أعيت أهلها خبثاً وفنكاً
وعرفت بالتهتك والجرأة والمجانة ولها زي خاص تشي به محتالة مبللة كما فعل

(١) مختارات من ديوانه طبة الكيلاني ٢٣٨

(٢) ديوانه باريس ٢٨٣٠ ص ٢٣١

الغلام وربما حاكته ايضاً بتقليد السلاح والتظاهر بالتعذيب والارهاب كما رصده
ايضاً ابو نواس بقوله :

وكيف اخشاك يا من يصد عمداً ويحجر
نمر سبل كم مدداً لي مخنجر^(١)

وهذه الاخلاق داخلية في وصف من قال : الناس اربعة : مليح يتغض
لملاحظته...^(٢) وهذا : شخص كان يقال له التكريه وهو هذا المعنى غير وارد
في اللغة ولا بأس ان نورد - في الشواهد التي جمعناها قال الحسن بن حاتم :
شاطرة ان كنت مكبره اخذ تكريها بسلطان^(٣)

وله ايضاً :

فقلنا له والكأس ترمى كفه
بربك غمراً او نقيماً سفتي
وقد وقّد الابريق فيها وقرقرا
فقال من التكريه ماء مزءنرا^(٤)

وله ايضاً :

وخذ من كف جارية وصيف
لها شكل الاناث وبين يشا
رخيم الدل ملثوع الكلام
تري فيها تكاريه النلام
وللحين بن الضحاك :

وشاطري اللان شئت التكريه شاب المجون بالنك^(٥)

ولمصعب الكاتب :

وشاطر ذي احتيال في نكره
ولاين عبد ربه صاحب القدر
كالنمن بألف فساقاً وشطارا^(٦)
ن بنخرة ونكره^(٧)
با اجم الحنث الجفو

ولاين الرومي :

ورقامة بالطل والصنج كاعب
لما نضج غنات ونكريه قانك^(٨)

(٥) الاغاني ٦: ١٧٥

(٦) ديارات الشافعي برلين ٨٥

(٧) يتيمة الدم طيبة مصر ٢: ٨٦

(٨) ديوانه باريس ١٨٣٥ ص ٢٢٧

(١) ديوانه باريس ٣١٩-٣٢٠

(٢) نشرار المحاضرة ٨: ١٢١

(٣) ديوانه طيبة مصر ٣٩٥

(٤) ديوانه طيبة مصر ٣٨٥

واحسن ما جاء في وصف التكريه قول ابي نواس :

احب العلام اذا كرها واصرته شيتا امرها
رقد مر يخطر في ثوبه وحل الجيوب وما ذرها
رقد حذر الناس سكينه فكاهم ينقي ثمرها^(١)

وانما عد ابو نواس الضرب بالدف من التكريه والشطارة لانه كان في الغالب من خصائص القيان والمغنيات كما كان الضرب بالطنبور من خصائص المغنين فكانت العلامة تعاف الدف ترفعاً عن شبه النوان وتؤثر الطنبور اقتداء بالرجال والعلماء .

وقد امتاز العصر العباسي بكثرة اقبال الناس فيه على الالطاب كالمحاربة بين الكلاب والمناطحة بالكباش والمناقرة بالديوك واللعب بالحمام والرمي بالبنادق والسهام وانضرب بانسكة والصوتان ودكض الحيل فكانت العلامة تفشي كل هذه الالطاب وتشارك الذكور بالمرهنة عليها وتجيد ايضاً لعب الدرد والشطرنج وهو ما اغفل ابو نواس ذكره في ما سبق من ابياته ولكنه الميع اليه في ابيات فضل فيها التلام على العلامة وقال في وصفه مشيراً اليها :

نغن عن لعب شطرنج ونرد وعن لعب الديوك مع الحمام
يلعب الصولجان ولعب بازر ودكض الحيل في طلب التمام^(٢)

وفي قوله : ترجل شمرها اي تهرجه للماع الى انها كانت لا تعقه ذوائب بل ترسله كشمع التلام الامرد مطموماً مرثلاً وتطيل صدغها نغليه وسنسط الكلام في فصل آت على طم الشعر والجوازي المطمومات وقد سبق الايام اليهن غير مرة .

ولدينا في وصف زي العلامة وتفصيل لباسها قصيدة اخرى لابي نواس رواها ابن منظور في جملة اخباره وقدم عليها حديثاً لابن الداية جاء فيه شرح لهذا الزي كاف لتصور العلامة من قرنها الى قدمها كما كانت تبدو به للناس وتحظر به في القصور والاسواق والمجتمعات قال يوسف بن الداية النحاس وهو شاهد عيان :

« كانت الشمراء تجتمع في كل يوم بباب اسما بنت المهدي وكان لهم مجلس

يُتَمَعُّ عَلَيْهِ فِيهِ أَهْلُ الْأَدَبِ وَكَانَ يُحْصِرُ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ أَبُو نُوَّاسٍ فَظَرَّ يَوْمًا إِلَى وَصِيفَةٍ قَدْ حَرَجَتْ مِنْ قَصْرِ اسْمَاءَ. عَلَامِيَّةٌ شَاطِرَةٌ عَجْزَاءُ. مَطْمُومَةٌ نَاهِدَةٌ وَعَلِيَّاءُ أَقِيَّةٌ وَمَنْطَقَةٌ وَفِي رَجُلَيْهَا نَمْلَانُ فَاسْتَدَّ عَجْبَهُ بِهَا وَمَا زَحَهَا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَهْرًا... فَقَالَ لِي يَوْمًا: امْضُ بِنَا إِلَى بَابِ اسْمَاءَ. لِنَنْظُرَ إِلَى مَنْ يُحْضِرُ الْيَوْمَ مِنَ الشُّعْرَاءِ. وَنَتَعَرَفَ خَبْرًا. إِنْ كَانَ حَدَثَ فَمَضِينَا فَيَبْنِيْنَا نَحْنُ عَلَى بَابِ اسْمَاءَ. إِذَا بِالْجَارِيَةِ قَدْ خَرَجَتْ وَعَلَيْهَا قَبَاءٌ. وَشِيْ مَسْجُوعٌ بِالذَّهَبِ وَسِرَاوِيلٌ وَشِيْ أَخْضَرٌ مَسْجُوعٌ بِالذَّهَبِ وَعَلَى رَأْسِهَا حِجَّةٌ مَسْجُوجَةٌ بِالذَّهَبِ اِبْرِيْمِيَّةٌ وَفِي رَجُلَيْهَا نَمْلٌ مَفْشَاةٌ بِدِيَّاجٍ وَعَلَيْهَا مَنْطَقَةٌ ذَهَبٌ مَفْرَقَةٌ عَلَى زُرْيَابٍ حَرِيرٍ عَرِيضٍ وَقَدْ غَابَتْ فِي خَصَرِهَا مِنْ اِزْهَامِهَا فَأَيْكَادُ يَبِينُ وَفِي يَدَيْهَا قَضِيبٌ خَيْزُرَانٌ تَعْبَثُ بِهِ فَدَهَشْتُ وَكُلٌّ مِنْ حَضَرِهَا وَبَيَّتْنَا إِلَى بَرَاةٍ جَمَالُهَا وَحَلَاوَتُهَا وَحَسَنُ زِيَّهَا... فَاقْبَلْتُ تَخْرُجَ وَتَقِيبُ وَتَتَهَادَى وَتَتَنَثَّرُ فِي مَشْيِهَا حَتَّى وَقَفَتْ حَيَالُنَا. وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرًا دَلَّنِي عَلَى أَنَّ فِي قَلْبِهَا مِنْهُ شَيْئًا فَانْشَأَ يَقُولُ وَهِيَ تَسْمَعُهُ وَكَانَ اسْمُهَا مَعشُوقٌ:

لَقَدْ ضَبَحْتُ بِالْمِخْرَافِ عَيْنَ تَصَبُّحَتْ	بِرُوحِكَ يَا مَعشُوقُ فِي كُلِّ شَارِقٍ
مَقْرُطَةٌ لَمْ يُجْنِهَا مَحَبٌ ذَلِيلًا	وَلَا نَارَعَتْهَا الرِّيحُ فَضْلَ الْبَنَاتِقِ
تَشَارَكَ فِي الصَّنْعِ النَّسَاءُ وَهَلَسَتْ	لَمْ يَنْزُوبِ الْحَلِيَّ غَيْرَ الْمُنَاطِقِ
وَمَطْمُومَةٌ لَمْ تَنْصَلْ بِذَوَابَةِ	وَلَمْ تَتَقَدَّ بِالنَّجَاحِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ
كَأَنَّ مَخْطَ الصَّدْعِ فَوْقَ خَدَّوْرِدِهَا	مَنْبِيَّةٌ اِنْفَاسٌ بِاصْبَعٍ لَاقِقِ
نَدَّتْ بِهَا الْمَدَى حَتَّى جَرَى لَهَا	إِلَى مَقَرِّ بَيْنِ أُذُنٍ وَعَانِقِ
غَلَامٌ وَالْأَلْفَلَامُ شَبِيهًا	وَرِيحَانٌ دَنِيًّا لُدَّةً لِلْمَسَاقِقِ
تَجَمَّعَ فِيهَا الشَّكْلُ وَالرَّيْ كَلَّةٌ	فَلَيْسَ يَزُوْفِي وَصْفُهَا قَوْلَ نَاطِقِ
فَطَانَةٌ زَنْدِيقٌ وَلِحْظَةٌ قَيْنَةٌ	بَيْنَ الَّذِي يَجُورِي وَمَنْبِيَّةٌ عَاشِقِ
وَتَقْطِيبٌ سَجْنِيٌّ وَنَكْرِيَّةٌ شَاطِرٌ	وَنَظْرَةٌ جَنِّيَّةٌ وَلِحْظَةٌ مَنَافِقِ
لَقَدْ كَسَبَتْ عَيْنُكَ ثَلَاثَةً	لِمَا حَبِيهَا بِأَفْئَةٍ لِلْخَلَائِقِ ^(١)

وَلَا نَعْلَمُ شِعْرًا أَوْ نَثْرًا أُجِيدَ فِيهَا وَصَفٌ لِلْفَلَامِيَّةِ بَيْنَ شَكْلِ وَزِيِّ هَذِهِ الْأَجَادَةِ وَلَا تَحَالُ أَنَّهُ اتَّفَقَ لِأَحَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ تَمْثِيلًا بَيْنَ خَلْقٍ وَخَلْقٍ كَمَا مَثَلَهَا أَبُو نُوَّاسٍ وَلَوْلَاهُ لَحَرَمْنَا كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِهَا وَمُلَحَّهَا وَمِنْ الشُّقَاءِ. إِنْ لَا يَكُونُ اِنْتَهَى الْبِنَاءُ مِنْ آثَارِ السَّلَفِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ النَّادِرَةِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا دَقَّةُ

التفصيل الى وفاة التثليل وفاتنا بضياءها او باهمالها فوائد وطرائف شتى لا تُقدَّر لمعرفة حقيقة حياة المرأة بين عادات ومعتللات وازياء وازباء وغرائب وعجائب وقبل ان نبدأ باستقراء هذه الايات نستوضح منها ما غيبي علينا من تفصيل زي العلامة وحليتها نرى من اهم الشؤون ان نستدعي النظر الى ما ورد له ايضاً في خاتمتها من تعداد نعمتها وحلاها ليكون تتمه لما تقدم من تعريفها وهو قوله الذي بلغ فيه الذاية من الشرح والجرح :

تجمع فيها الشكل والزى كله فليس يوتى وضها قول ناطق
فطاة زنديق ولحظة قينة بين الذي جرى ومنية عاشق
ونفطيب سجين ونكره شاطر ونظرة جني ولحظ منافق

ومثل هذا الوصف بالفتنة والفطنة هو دون ريب اصل اصطلاح العامة في اطلاق لفظ الشاطر او الشاطرة على كل من تغذ بالخدق والنباهة .

وارل ما يجدر التنبيه عليه من زي العلامة لبسها القرطقي وهو قباء فارسي ذو طاق واحد قصير لا يتجاوز مقدم الساق اشتهر في الخلافة العباسية كانت اكثر ما تلبسه السقاة لحفته ورشاقتة في التنقل والحكمة وقد اكثر الشمراء من ذكره في مجالس الشراب ولذلك قال السري الرفاء في احدي رواهب دير يوسف بالموصل :

ومنهف لو كنت املك ارمه بدلت شحى مروحى بفراطق^(١)

اي جعلتها ساقية ومثله قول ابن المعتز

ومفرطق يسمى الى النداء بتيقنة في درة يضاء^(٢)

وقد اوما ابو نواس الى قصر القرطاق وخفته بقوله : لم يُجِنها سحب ذيلها اي انها بلبسها القرطاق كالنلام قد تخلصت من ذلول ثوب الغايات وقتل جره فبان شطاطها واستقام قدها لقلة ما يزوده ويُجنيه من ذيل ثياب النساء وتعدّر منازعة الريح فضول بنائنها وفي كتب الالة ان البنائت جمع بنية وهي جيب الثوب اي الطوق المحيط بالنتق وهو لا محالة غير المفهوم هنا من هذه اللفظة لامتناع تمكّن الريح من الطوق المزورور وفي ديوان الحسن بن هاني عدة الفاظ

(١) ديوانه في مجموع ٣٠٩٨ في خزانة باريس ١٢٧

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ١٢٧

مودة عربية لا تنفي الناحية شيئاً في تأويلها كانت مروسة في عصره وهي خافية علينا لقلة احتفال شراح ديوانه بتفسيرها والبنقة احدى هذه الالفاظ ويظهر ان المراد بها هنا مطلق الثوب الطويل وقد وردت بهذا المعنى في بيت اخر للحسن بن هاني قال فيه :

متخرسن دين النصارى دينه ذو قرط لم يتصل يثاق^(١)

وجاءت ايضاً بمعنى الثوب في تلخيص افتتاح الاندلس لابن القوطية (رقم ١٨٦٧ من خزنة باريس ص ١٧) .

وقد مر بنا من قول ابن الداية ان وصيفة اسماء خرجت وعليها اقية (بلفظ الجمع) والقباء هو المعروف اليوم بالقفطان وذلك لان بعض النساء والرجال كانوا يظهرون بين عدة اثواب لاختلاف الوانها ووشها جاً بالمباهاة بها وجر اذيالها المشهورة .

كاذيال خوذ اقبلت في غلائل مميئة والبعض اقصر من بعض

ومن اغرب ما روي من سخف الرجال بمضاعفة الاقية ما حكاه الخاقاني عن المتنبى حين دخل عليه قال : فاذا به لابس سبعة اقية كل قباء منها لون^(٢) وهو يكاد ألا يصدق من مثله فلا غرو بعد ذلك اذا كانت القلايات يلبس احياناً عدة قراطق او اقية زهراً واختيلاً .

ومن لوازم القباء والقرطق لكل من لبسها دائماً المنطقة تشد على الحنوين وتقب في الحنصر لتظهر بها دقته وانهمضاه واكثر ما يتخذها المتطرفات من الذهب والفضة ومن الحرير والابرسم ووصف ابن الداية منطقة وصيفة اسماء بانها من ذهب « مفرقة على زرياب حرير عريض » وهذا الوصف يثل هذا اللفظ غامض لا يتبين له معنى صحيح لان الزرياب يطلق على الذهب او ماء الذهب فلا يرى كيف يكون الذهب مفروقاً على ماء الذهب ولا شك ان هناك تحريفاً شديداً على الناسخ والطابع ولعل الاصل « مفرقة على زريافته اي محلاة على نوع من الديباج والكلمة فارسية مركبة من زر وهو الذهب ويافته او يفته وهو نسج من القطن .

(١) ديوانه باريس ١٨٣١ ص ١٢٥

(٢) وفیات الاعيان طبعة باريس ٧١٩

وقد صرح ابو نواس ان الوصفة مع مشاركتها للنساء في التصنع والتجمل تركت لمن ضروب الحلي واقتصرت على المنطقة وحدها وبرزت عاطلة مجردة لتكون ابعد عن شبه النسوان واقرب الى الثلمان ولكي يكون تقليداً للفلام اتم واكمل طمت شعرها اى قصت ذوائبها واطارحت تلجها وهو ضرب من ضروب التزين بالشعر فوق المفرق ووضعت مرضعه «محبسة» منسوجة بالذهب اى شبه قلنسوة او عمامة حبست بها شعرها وهذه اللفظة بهذا المعنى غير واردة كذلك في كتب اللغة ونقل عن جارية اخرى انها تقلدت السيف ايضاً مع القلنسوة لتبلغ الغاية من الترجل وهي جارية حمدان قال علي بن الجهم : خرجت علينا وقد تقلدت سيفاً محلياً وعلى رأسها قلنسوة ومكتوب عليها :

نأمل حسن جارية يمار بوصفها البصر
مذكرة مؤنثة فمي انتى ومي ذكر^(١)

واشهر من تقلد السيف واعتم بالشاشية من الفتيات البانوقة بنت الحليفة العباسي المهدي روى الطبري حديثاً لبعضهم قال : رأيت المهدي يسير وعبدالله بن مالك على شرطه يسير امامه في يده الحربة وابنته البانوقة تسير بين يديه وبين صاحب الشرطة في هيئة الفتيان وعليها قباء اسود ومنطقة وشاشية متقلدة السيف واني لأرى نديها قد رفعا القباء لنهودهما قال وكالت البانوقة سمرا حنة القد حلوة فلما ماتت وذلك ببغداد اظهر عليها المهدي جزءاً لم يسمع بثله^(٢).

ولا بدع اذا تعددت الفلاميات في عهد العباسيين وفشا زيهن بين الجوارى والوصائف ولهن مثل هذه القدوة العلية والاسوة الهاشمية والناس كما قيل على دين الملوك .

وما يجب ان لا يُذهل عنه من وصف ابن الداية قوله ان الوصفة خرجت «وفي رجلها نعل مفشاة بدياج» وقد يشذ عن علم الكثيرين ان النعل كانت من احذية الرجال وتقدم في الحديث انه قيل لعائشة ان المرأة تلبس النعل فقالت : لمن رسول (صلم) الرجل من النساء لان النعل لا تغطي كل القدم ولا الساق

(١) المقد الفريد ٣: ٣٦٦

(٢) تاريخ الرسل والملوك طبعة اربعة ١: ٥٤٤

ودا سبب المراد انكشفت رحلها وهو مكرره بالنساء. وانما كانت تتخذ من الحفاف لطول ساقها وسترها ما بين الكعب والركبة فاذا عدت الغلامية عن الخف واحتذت النعل تكون اتم شبيهاً بالغلام وقد اومأ ابو نواس في بعض اشعاره الى مثل هذا التقليد فقال :

مذكّرة الحذاء اذا استهت لا رلا بنازعها الكلام^(١)

وللتظرفات افانين في زي النعال ، بلفن فيها الغاية من الترف والبطر ومن اشهر من اغرب جداً في اتخاذها واسرف كل الاسراف في اختيار نفائس الثياب والطوب لتجهيزها السيدة ام الخليفة المقتدر حكى بعض من كان يعاملها قال : كنت اشترى لها ثياباً ربيعية يسونها ثياب النعال وذلك انها كانت صفاً تقطع على مقدار النعال المخذوة وتطلى بالمسك والعنبر المذاب وتجد ويجعل بين كل طبقتين من الثياب من ذلك الطيب ما له قوام ونحن نقمل بطاقات كثيرة كذا وناف بعضها على بعض ثم نصنع حوالها بشي. من العنبر وتازق حتى تصير كالبها قطعة واحدة وتجل الطبقة الاولى بيضاء مصقولة ونحز حوالها بالابريسم ونجمل لها شركاً من ابريسم كلها كالكرك المضفورة من الجلود وتلبس قال وكانت زمال السيدة من هذا المتاع لا تلبس النعل الا عشرة ايام او حوالها حتى تحاق وتنت وتذهب جملة دنائير في ثمنها وترمي فتأخذها الخزان او غيرهم فيخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه^(٢).

ويبين من وصف هذا الزي المذكور الذي نعي منه كل ما اُستتم منه رائحة الانوثة ان الغلامية كانت لا تسير اصلاً من قرننها الى قدمها بشيء عن الغلام ولذلك قال الطيبي :

لولا نبات الشمر في بجد لم ندر اي الاغيدن الغلام

ولم يفتها ايضاً تقليده في حركاته وثمانله فكانت اذا امشت او خطرت حاكنه في ارجاء الكعب بدلاً من امساكه وهو من خصائص الفتيان والشطار حتى في الاندلس وقد شهد به الوزير ابن شهيد فقال :

(١) ديوانه باريس ١٨٣٠ ص ١٨٧.

(٢) نشرار المحاضرة للتوخى ١٤٣: ١٤٤.

هَبْ من مرفده منكراً مَبْلاً للمكمر مرحياً اردا^(١)
وقد تقدم من قول ابي نواس : « وترخي كها فعل الغلام »
وقول مروان الصغير :

غني كما يني العلا م وكها مخرج ككته

- رولان الساعاتي- من شعراء القرن السادس للهجرة -

وكان عن البان في اوراقه مفاء خاطرة بكم مَبْل^(٢)

وبعد كل هذه المآخذ والسرقات التي اقتصت فيها الغلامية الباسية مثال
الغلام وتجلت بجليته واتست بسياه لم يبق عليها الا ان تسمى كذلك باسمه
وهو ما فعلته ايضاً كما رأيناه من اتخاذ وصيفة اسماء بنت المهدي اسم معشوق
بدلاً لها من معشوقة كما مر بنا من مخاطبة ابي نواس لها :

لقد صُبعت بالخبر عين نصبت روجك « يا مشرق » في كل شارق

وبذلك تم لها الشبه وصح الاقتداء واقترن فيها جسم الغلام وامه بحيث :

تجمع فيها الشكل والزى كله فليس يروني وصفها قول ناطق

ولكن بقي هنالك فارق واحد بين الجنين وهو ما تم على البانوقة بنت
المهدي من نهود تديها ورفعها للقاء فهل خطر قط لاحدى الشاطرات القاتنات
ان تكون جدّاً لا تدي لها كما خطر لبعض الغلاميات الاميركيات اليوم ؟

الجواري المطمومات

قد تقدم من قول ابي نواس في الجارية المقصورة الشعر :

ومطمومة لم تنصل بذؤابة ولم تنعدر بالتاج فوق المقارق
وله ايضاً :

وناهدة الشديين من خدم النصر مزرفة الامداغ مطمومة الشعر

غلامية في زحما برمكية شاطمها قد غبن في لفاف المصرا^(٣)

وللوزير ابي عامر احمد بن شهيد الاندلسي من ابيات :

(١) نفع الطيب ٢: ٢٢٣

(٢) ديوانه طبعة بيروت ١١٠: ٢

(٣) ديوانه باريس ٣٣٥

ورب قام فينا ساقيا
حبة دون الصبايا قُصمت
فتح الورد على صفحتها
فت نخوي وقد ملكتها
ولا لي نواس كذلك :

وذا وجه كأن البدر حل به
مطمومة الشعر في قمص مزررة
فلو براها غلام ثم يلعبها
يجدي لك الورد والتفاح خذاها
في زي « اهد » سباه كسيها
عض الانامل لولا اللعظ ادماها^(١)

وهذه الشواهد كلها تدل صريحا على ان الغلاميات لم يقصص شعورهن الا تشبها بالشطار خصوصا لان بعض الغتيان كنوا يرسلون ذوائبهم كالفقيات ولا سبيل اليوم لبث الحكم في اصل هذه العادة هل نشأت في العراق ام دخلت الشام قبلا مع الوصائف الروميات على كثرتهم يومئذ لقول عبد الملك بن مروان : من اراد الخدمة فعليه بالروميات^(٢) وما يرجع ذلك قول ابن المعتز : قال بعض خلفاء بني امية لرجل من جلسائه : ما يطيب في يومنا هذا ؟ فقال : قهوة صفراء في زجاجة بيضاء تناولنيها مقدودة هينا مطمومة لنا^(٣) .

ويشبه ان تكون عادة طم الشعور بين فتيات الروم شائعة معروفة في القسطنطينية قبل الهجرة وهو ما رواه ابن عبد ربه ان عمر بن الخطاب لما بعث رسولا الى هرقل « ذهب الرسول الى باب جبلة (بن الايهم) قال : فلم ازل اتلطف في الاذن حتى اذن لي فدخلت عليه ... فلما رفع الطعام ... فاذا خدم معهن كراسي مرصعة بالجواهر ... واذا عشر جوار قد اقبلن مطمومات الشعر متكسرات في الحلي عليهن ثياب الديباج^(٤) فيترجع من ثم ان الجوارى المطمومات وردن الى الشام من ديار الروم ثم سرى هذا الزي من الشام وعم العراق والشرق حتى شغف به الخلفاء كاللثوكل على الله قال ابن حيان ان بعض

(١) الذخيرة لابن بام طبعة مصر ١٧٨١

(٢) ديوانه طبعة مصر ١٢٤٠

(٣) تحفة المروس لابي محمد عبدالله التيجاني ٤٣

(٤) فصول التائيل ٥٥

(٥) المعقد الفريد طبعة مصر ١٩٢٦ (٥٩-٥٧:٢)

تجار اليهود جاء برّ بشتر بعد الحادثة (سقوط المدينة بيد النصارى) ملتصقاً
فدية بنات بعض الوجوه من نجا من اهلها حصان في سهم قوس من الرابطة
فيها كان يعرفه قال : فهديت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالساً مكان
رب الدار مستوياً على فراشه رافلاً في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفها
رهباً يوم محنته لم يغير شيئاً من ريشها وزينتها ووضائفه مطبوعات الشعور قائمات
على رأسه ساعات في خدمته (نفع الطيب ٢ : ٥٧٥) .

فنون الغلاميات في تزيين الرأس والوجه

تقدم من شهادة الاغاني ان المترجلات البدويات كن يتمشن كالرجال و
بنا من رواية الطبري ان البانوقة ابنة الخليفة المهدي كانت تتقلد السيوف وعليها
الشاشية ولبس غيرها « المحبة والقلنسوة » ولما اتخذت زبيدة الجوارى الغلاميات
لابنها الامين قال المبدى الجراساني « عمت رؤوسهن » ويظهر ان النساء عامة
درجن على اعتياد المهائم كالرجال واشتهرن بها في دولة المهالك حتى كانت
الولاة تضطر احياناً الى المناداة بالنهي عن هذه العنم قال المقرئ وفي المحرم
سنة ٦٦٢ (١٢٦٣ م) نودي بالقاهرة ومصر ان امرأة لا تشتم ولا تتدبى بزي
الرجال ومن فعل ذلك بعد ثلاثة ايام سلبت ما عليها من الكسوة وفي سنة
٦٩٠ (١٢٩١ م) في شهر رمضان امر الامير علم الدين الشجاعى ان لا تخرج
امرأة وعليها عمامة بل مقنعة كالصاعدة القديمة ولكن لا نعظم كيف كانت
تُكسّر هذه المهائم على رؤوس النساء ولا من اي الاثواب او المنسوجات كانت
تصطنع غالباً في في ما خلا الشرب واللانس ولا شك ان اكثر الجوارى
والغلاميات كن يتجملن بالوشي من الحرير والابرصم ولا شك ان المتنبي عاين
بعضهن وعناهن بقوله :

لبس الوشي لا متجملات ولكن كي يصنّ به الجمالا

وفي ايام المهالك في الدولة الجركسية قلد النساء الرجال في اتخاذ الطوائف
ايضاً قال المقرئ : يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع واعلاها

مدور مقبب ... وبشبه الرجال في لبس ذلك النساء. لمعنين أحدهما أنه نشأ في أهل الدولة بحجة الذكران فقصداً ساؤهم التشبه بالذكور أن يستلمن قلوب رجالهن فاقصدى بأهلهن في ذلك عامة نساء البلد^(١).

وقد بحثنا كثيراً فلم نوفق للعثور على شاهد واحد يستدل منه على رواج العنائب بين الغلاميات وكان منها نوع يقال لها العنائب المكحلة ابتدع في أيام المهدي قال أبو الفرج في الأغاني : كانت عائشة بنت المهدي شقيقة إبراهيم جميلة الصورة إلا أنه كان في جبهتها اتساع مفروط فمن أجلها اختدعت العنائب المكحلة^(٢).

ولما كانت الغلاميات مطحومات كما سبق من وصفهن وكان غاية ما يطحنن إليه عاكاة الفتيان لم يبتغى لهن بعد أطراح الذوائب من صفوف الامتناسات والتزين بالشعر إلا تصفيف الطرة وهو زي الشطار كما وصف به أبو نواس لما توجه إلى مصر قالوا خرج « في زي الشطار وتقطيعهم بطرة قد صفها وكبتين واسمين وذيل مجرور ونمل مطبق »^(٣) وهو الزى الذي اختارته زبيدة للغلاميات اللاراقى اهدتين لابنها محمد الأمين « وجملت لهن الطرور والاصداغ ».

وفي الشعر اشارات واصاف كثيرة للصدغ وتشبيهه بالنون والواو والوصلجان والمقرب والزرفين أي الحلقة على غير تفاوت بين الغلام والغلامه ولا في نواس في إحدى وصائف القصر :

وناهدة الثديين من خدام القصر مزرقة الاصداغ مطومة الشعر^(٤)
وله فيهن أيضاً .

اصداغن مقربا ت والشوارب من عيب^(٥)
والديك جن :

اقبلن والاصداغ في وجشاعن مقربات^(٦)

(١) المخطوط ١٦٩:٣

(٢) تحفة المروس للسيوطي رقم ١٥٩٣ مكتبة دار الاوقاف بليب .

(٣) اخبار أبي نواس لابن منظور ٢٣٥ وخاية الادب للتويري ٢٠٨:٢

(٤) ديوانه باريس ٢٣٥ ص ٢٣٥

(٥) كتاب بغداد لابن طيفور ٢٠٢

(٦) خاية الادب للتويري ٧٨:٢

والناشئ الاصفر :

لك صدغ كافا موبه نون كان
بلدع الناس اذ تقرب لذع الغراب

ولاين المعتر في الاصدغ الملوية كالصالح :

امن سج في عارضيه صالح مطقة تقاح خديه ضرب

وللتالي :

وصولجان المسك في خده متخذ حبة قلي كره^١

وربما أطيل الصدغ بالطيب المذاب وصف به نواس غلاماً شاطراً فقال :

قل لذى الصدغ الطول ولذي النمر الرجل
ولذي التكريه في المشية والنذر المحلل^٢

ونعت به ايضاً فيما سبق علامة شاطرة فقال :

ترجل شعرها ونطيل مدعاً وترخي كعها فل الغلام

وتقدم له ان وصيفة اسماء كانت تطيل صدغها وتصله فوق خديها بما

المسك وهو قوله :

كان مخط الصدغ فوق خدودها بغية انقاس باصبع لائق
ندته بما المسك حتى جرى لها ال مستقر بين اذن وعائق

واهم ما كانت تزين به وجهها من المحسنات في اعتقادها :

١ نسيب الحاجبين اي حنف ما خرج عن الفوس من الشعر وخطها بالمداد والافند.

٢ صبغ الشفتين بالحمرة .

٣ خط الثارب بالمسك واحلاط من الطيب .

٤ الكتابة والتصوير على الخدين .

وسنشير في ما يأتي الى كل منها

(١) خاية الارب ٢: ٧٣-٧٤

(٢) ديوانه باريس ١٣٣٠ ص ٦٥

خط الشارب بالمسك وإخلاق من الطيب

كان لا بد للغلاميات لبلوغ الغاية والنجابة في التشبه بالأمهات من إكالة الشارب بخط في موضعه تمتد على الشفة كانه الشعر فكان يثان هذا الخط اما بالمسك كذا في قول الاسعد بن بديلة المذكور آنفاً « وشاربك المخضر بالمسك قد خطاً واما بالغالية وهو قوله ايضاً من القصيدة نفسها :

غلامية جاءت وقد جعل الدمى	خاتم فيها فص غالية خطاً
فلت احاجيرها في جفونها	وما في الشاه اللبس من حنا المطر
فحرة البنتين من مسكرة	منى شرعت الحاظ عينيك اسفلاً
ارى نكهة المسواك من لسي	وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى فزح قبله فاخاب	على الشفة اللبلاء قد جباه مخطا

ونظيره قول ابي نواس في وصف غلاميات في زمانه :

صور اليك مؤنثات	الدل في زى الذكور
أرهن إرماف الاعنسة والخصائل والبيور	
اصداغن مقربا	ث والشواوب من غير ^(١)

وفي حكاية ابي القاسم البغدادى : شارب كخضرة الزبحان :

شارب من زبرجد وثنايا من اقحاح وريقة من عقار (ص ٥٢)

ومن الغلاميات الاراقى اشترون بخط الشارب الزرقاء جارية ابن رامين . قال بعض المدينين : اتقت منزل ابن رامين فوجدت عنده جارية رفع ثديها قيصها لها شارب اخضر تمتد على شفتها امتداد الطراز كأنها خطت طرفها وحاجباها بقلم لا ياحقها في ضرب من ضروب حسناتها وصف واصف فسات عن اسمها فقيل هذه الزرقاء^(٢) .

الكتابة والنقش على الحديد

كانت المرأة الغلامية لا تخشى الاسراف والثاوى في التزين والتروق تقرباً من القلوب واستدعاءً للأنظار فلم تكن تجترى بالتفنن في عقد الشعر وإرسال

(١) نفع للطيب طبعة ليدن ٢ : ٤٥٤

(٢) النادر من كتاب بغداد لابن طيغور ٣٠٣

(٣) الاغانى ١٣ : ١٣٢-١٣٤

داره علی احسن وعقربة السعدین الی كانت تتحد الخدین لسیب الطومار او
الجدار وتمهد للمراشط ان تكتب علیه ما تشاء من اسماء المحبین و تقش علیه
بعض صور الهوام القابلة للزخرفة والتفنن فی الرسم المعروفة بنفث السموم القتالة
كالخية والعقرب روى المسعودی ان المتوکل الخليفة العباسی قال لعلی بن الجهم
الشاعر المشهور : « ویاک یا علی دخلت قرأیت قینة قد کتبت فی خدها بالمسک
« جعفرًا » فما رأیت احسن منه فقل فیہ شیئًا فقلت یا سیدی : او انا ومحجوبة
(وصیفة أهدیت للمتوکل من الطائف كانت تحمن کل ما یحس منه علماء الناس)
قال . بل انت ومحجوبة . قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبغتني الی القول ثم
اخذت العود قترت ثم خفقت علیه حتی صاغت له لحناً وتضاحکت ملیاً ثم
قالت : یا امیر المؤمنین تأذن لی ؟ فاذن لها فقئت :

و کاتبه فی اخد مالک جعفرًا	بنفسی مخطء المک من حیث اثرا
لئن اودعت خطاً من المک خدها	لقد اودعت قلی من الوجع اسطرا
فیا من لملوک بظل ملیکه	عطیاً له فی ما امرت واجهرا
وبامن لبني من رأى مثل جعفر	سنی الله صوب المستهلآت جعفرًا ^(۱)

ولابی طاهر اسمعیل بن علی المهدوی ببغداد فی جاریة صور علی خدها بنقابة
صورة حیة :

نبت لنا من جانب السجف غداة	لما الشس وجهه وألکواکب خال
فقلت وقد لاح الهلال بوجهها	مقی طامت شمس الضحی ومهلل

الهلال الاول من اسماء الحیة والهلال الثاني هلال الافق^(۲) .

ولابن الساعاتی عدة ابیات ذکر فیها تصویر الحیة والعقرب فی صفحات
الخُدود منها .

أرأیت دریاقا کذوب رضاها	بث الصدى وهو الزلال الملل
وکحیة او عارب فی خدها	ابدأ تعی فاعلا ونفیل ^(۳)

ومنها :

(۱) مروج الذهب ج۱ ص ۹ : ۱۵۳

(۲) ذیل تاریخ بغداد للذیثی باریس ۲۱۳۳ ص ۱۰۵

(۳) دیوانه ۱ : ۶۵

وحريصة بقاء بلة شعرها من هجرها وجينها من وصلها
نقشت مواشطها على وجناتها صوراً تمبذني الغرام لاجلها
او ما عيجت لحية في جنة دوني زدنوز بانها وبظلمها
فحذارها اني استطعت فنباها مكرت بآدم اختها في مثلها^(١)

ومنها ايضاً : —

يا ضرة القسرين في شرفها من اي شيء فيك لم انجب
كنت بخديك المواشط فتنة عمت عموم هواك من لم يكتب
ولقد سمت وما سمت بكانب شيناً على صفحات ماء مذهب
جاء الكلم بآية من حبة ولذاك جنت بجنة وجنوب^(٢)

ومن هذه الشواهد يستدل على ان المواشط في الشرق كن على جانب
من معرفة الكتابة والرسم والنقش حاذقات ضروب التحسين والتزيين
والتطبيب يفعلن ما تفعله في الغرب معاهد الاصلاح والتزيين المعروفة باسم :

Institut de beauté

تنميص الحاجبين اي نتف ما خرج عن القوس من الشعر
وخطها بالمداد والاثمد

من الغريب الذي يقضى منه العجب ان نساء البدو كن ينتمن حواجبهن
بحف ما تجاوز القوس من الشعر لترجيجهن كما يدل على ذلك ورود هذه اللفظة
في اللغة واستشهدوا على ذلك بقول الراجز :

يا اينها قد لبست وصواما ونمست حاجبها نياما^(٣)

وفي الحديث . لمن الله الراشحات والمسترشحات والمتنمصات والمتفلجات
للحسن المنفريات خلق الله تعالى^(٤) وكلمت الغلاميات يصلحن قوس الحاجبين
بالخط حوله بالمداد والاثمد قال دعبل الحراعي يهجو جاريته غربال :

تخط حاجبها بالمداد وتربط في عجزها رفسة^(٥)

(٣) لسان العرب

(٤) صحيح البخاري ٧ : ٥٨

(١) ديوانه ٦٥

(٢) ديوانه ٦٦

صنع الشفتين بالخرقة

كان العرب يستحسنون السرة في الشفاء وهي اللبى والنفس والحوّة قال
ذو الرمة :

لبى في شفتيها حيرة لبس وفي اللثا وفي اباحها شنب
(فخر السردان على اليمان الجاحظ ليدن ٧٣)

واجاد ابن المعتز بتشبيه ضياء الصبح بابتسام الشفة اللبى . فقال :
لا تقرى نفق الصبى . مثل ابتسام الشفة اللبى .^(١)

وانما حسن اللبى لانفراجة عن بياض الثور وهو ما المع اليه ان الساعاقي
بقوله :

واللس لم تكن لتعده الالز جما لولا بياض الامور^(٢)

وربما علا اللبى حمرة ذهبية من الدم او الصبغ كما في تشبيه كشاجم بقوله
في الزهر :

كان الشفاء اللبس منها خوام من التبر مختوم جن على الدر^(٣)

وكانوا يحبون مثل هذه الحمرة الظاهرة في عداد ما يحمل عندهم منها في المرأة
تقالوا : من جملة ما يستحسن من المرأة حمرة اربعة : لسانها وخدها وشفتها وتشرّب
بياضها بجمرة . وفي رواية اخرى : اللسان والشفتان والوجنتان والبنان^(٤) .
يرد الالكباد في الاعداد للشالي رقم ٣١٧ ادب دار الكتب المصرية .

ولذلك كانت المتخلفات يخططن فوق شفاههن بخط احمر كما تفعل النساء
اليوم وهو ما اشار اليه الوزير ابو عمر واحمد بن سعيد الاندلسي بقوله في وصف
جارية : كانتا تقرأ من جوهر وشفتها خيط حرير احمر^(٥) ومن الابيات الواردة
في وصف الشفة اللبى . الحراء . قول كشاجم :

عذبت في الرشف منه شفة مصها اطيب من نيل الامن

(١) خاية الادب للنويري ٢ : ٥٨

(٢) ديوانه ٣ : ١١٣

(٣) العنوان في مكابد النوان لابن التنبوي الايوحي ٨٩ f° 4640 Or.

(٤) بقيقة الشالي طبعة مصر ٣ : ٤٣

وعلمتها حمرة في سر تستعير اللون من ورد المحل
 ميا بها حات اثار دم من فزادي عل في وحل^(١)
 ولابن سكرة الهاشمي في وصف قبة من شفة حمراء :
 كأنني اذ نلت فاك جا لست نفاحة من الذهب
 (خاية الارب ٣ : ٥٩)

كتب بعض المجيئي صاحب له يستهويه جلدية وقلد في بعض اوصافها :
 تكون حمراء الشنتين مفلجة^(٢) (مطالع البدور ص ٢٦٦) .
 اجمع اهل المعرفة ان الذي يجر من المرأة من الحمرة اربعة اشياء . منها :
 حمرة الشنتين (مطالع البدور ٢٦٨) .
 وفي اجتماع الحمرة والسمة حسن صح معه لابن بايطة الاندلسي تشبيه
 الشفة بتقيل قوس تفرح في قوله غاملاً احدى الفلاميات :

حبرة العينين من غير سكرة متى شربت الخاظ عينيك استغظا
 ارى نكهة المراك في حمرة اللس وشاربك المخضر بالملك قد خطا
 عى قزح قبلتي فاخاله على الشفة اللبياء قد جاء مختطاً^(٣)

وكثيراً ما كانت الحمرة تكو الشفة اللبساء فلا يبين منها الا لون الدم
 ولذلك جاء في خبر الذئفا وصفها . وفم كأنه جرح يقطر دماً^(٤) وهو ما نقل
 ايضاً في نمت ابنة عرف بن علم الشيباني . شفتان حمراوان كالورد يجلبان ريقاً
 كالشهد^(٥) ونظيره قول الازدي في حكاية ابي القاسم البغدادى : تفر كالاقتران
 وشفتان كالمرجان او الارجوان .

ومن احسن ما روي في مدح الشفاء الحمر ما انشده ابو الفرج الاصبهاني في
 كتاب النساء :

فا انسة لا انس منها اشارة بياية البنى على خاتم القم
 واعلنت الشكوى اليها فارومات حذار لمع الواشين ان لا تكلم
 فلم اذ شكلاً واقفاً فوق شكله كمنابة يرمى صا فوق عندم

(١) خاية الارب للتبريري ٥٨ : ٣

(٢) مطمح الاقضى لابن خاقان طبعة القسطنطينية ٨٣-٨٤

(٣) القند الفريد لابن عبد ربه ٣ : ٢١٥ و ٢٢٥

وكان زحاح نفسه لا يحسون احداً من رستهانة مثل حـ يصنع
القائي لتبريق شناههم وتطريتها اما لآثريين والتصرف بعمل بعض القتيان والحقين
واما تسويه لونها وستر شحوبها بعد الصيام والبكاء. كبعض الزهاد والعلماء. فيا
قيل مثل منصور بن المعمر نقل عنه الذهبي انه « صام اربعين سنة وقام ليلا
وكان يبكي الليل كله فاذا اصبح كغُل عينه وبرق شفته ودهن رأسه »
وهو ما يبعث على العجب والاستعراب ولا ريب ان تبريقه كان بنفس الصبغ
الذي كان يتجمل به المتبرجات والمختشون ومن ثم يجب ان يصلح في هذا المعنى
قول الاغاثي عن الفريض الثني انه « كان يصنع نفسه ويرقها » كما في طبعة
بولاق (٢ : ١٢٨) او « يصنع نفسه ويرقها » كما في طبعة الدار (٢ : ٣٦٠)
بدلاً من « يصبغ شفته ويرقها » وهو الصواب الذي لا شك فيه .

٥

لا سبيل اليوم لمعرفة مقدار من كان بين هؤلاء السبايا والجواري الاماء.
من المتطرفات التشبهات بالعلماء في الشكل والزي قبل ان يطأ على عيني اقب
« الفلاميات » في الدولة العباسية وهل كان بعضهم على هذه الصفة في مواطنهم
ام اكتسبها في الحضارة الاسلامية ويظهر ان الروميات بينهن كن قد اعتدن
الطم اي قص الشعر والترجل في بلدانهم كما سيحي. وقد خلت ابدننا اليوم
من اخبار النساء الامويات ولم يُقَيَّضْ لهن من يشيد بجهنهم ويحيد وصفهن
والتشبيب بين كالحسن بن هاني لانصراف شعراء بني امية في الغالب الى فنون
الشعر المبذلة كالفخر والمديح والهجاء والفزل والرائ. والاقبال جداً من نعت
الحانات والساكر ووصف المجالس والمجتمعات التي كانت تتجلى وتنبأى فيها
المترجلات والشاطرات وعلى كل حال فما لا يُرتب فيه ان الفلامية في الاسلام
لم تباع الغاية والنهاية في التفتن والاغراب الا في ايام العباسيين لا قبل الخلفاء.
والناس على اثارهم والاعجاب بهم كالمهدي والرشيد والأمين والمأمون والمتوكل
والقاهر كما سنشرحه قريباً واما في الشام فكانوا كما قال الجاحظ اشبه النساء
عندهم الروميات وبنات الروميات^١ لكثرة ما يرد منهن من سباء الحروب

ورقيق النخاسين وتحت القوم في الغائب باخلاق الروم البيزنطيين مع ما ورثوه عنهم من احوال الميعة وفنون الحضارة .

وقد خلت كما قلنا اشعار الخلافة الاموية من كل نعت للمرأة الغلامية ولا بدع لان القوم وقتئذ كانوا احدث عهد بالبداوة واقرب الى الفطرة للتفرغ عن كل ما يختلف المعجبة من آفات الاجتماع والاختلاط فلا نجد في اشعار الجاهليين والمخضرمين من تصني غير الفرواني والمها حتى اذا اقبلت دولة المسودة والقت مقابلتها الى الاعاجم من عروج خراسان تغلب معها السواد على الالوان والابدان وسقطت الحشمة من النفوس والرووس وكان اول من اضرم هذه النار واستدرج القوم الى هذه المغزية فيما حكاه الجاحظ في كتاب الملعين ابو مسلم صاحب هذه الدولة « حين سنّ لتلك العاكر ألا يصحبها النساء . خلافاً لجند بني امية الذين كانوا لا ينفارقون الظلمات في حل وترحال ولما لم يكن بد لتلك الجيوش من يتولى خدمتهم ارتبط لهم ابو مسلم الفلاني لحقة مؤونتهم وطالت صحبتهم لهم فطالت قتلهم بهم »^١ وبقيت هذه الشريرة كائمة في القلوب كل خلافة المنصور وبعض ايام المهدي والمهدي حتى كان الرشيد فازدادت في وزارة البرامكة انتشاراً ولكن حالت هية الخلافة ووقارها دون المكاشفة بها في بغداد فكان القوم اذا ارادوا الاجتماع على معاقرة الشراب ومعارضة التغزل بالقلان يتسترون في البصرة هرباً من الشرطة والسجن الى ان جاء احمد بن اسحق الحاركي استاذ ابي نواس فجاءهم ولم يتكتم وتبعه تلميذه شيخ هذا المذهب فوضع القناع وصاح ملء الاسماع .

ألا فاسقي خمرًا وقل لي هي الخمرُ ولا تسقي سرًّا اذا امكن الجهرُ

وبعد ان غبر حياءً وهو ينشد :

حب الفرواني من الرشاد ولو	يكاد يبدني المحب من أجده
قتن بالحن يوسفًا وكذا	داود حتى بنى على رجليه
وزينب يثت محمدنا	فبان زيد وصار من بدله ^٢

(٢) ديوان ابي نواس ١٨٣٠ خزائن باريس ١٨٦

(٢) ديوان ابي نواس ١٨٣٠ خزائن باريس ٦٢

ما - ث - الخبز وسحب وعني ما ظني كما قول محمد بن مازن :
 وعادته يوم عن اصحابي علافاً واصفاً مثل المهابة
 وقالت قد حشرت ولم يومني لطيف عري وصال العايات
 ألتار الدجر عن البراري وحبناً عن طي الفلاة
 دعيني لا تخويني فاني على ما نكرم من الى المات
 هذا اوصى كتاب الله فبنا تفصيل البنين على النيات^١

وقد اقر الحسن بن حنفي ان الخاركي كان المجلي في هذه الاجلة وهو ما
 رواه عبدالله بن المعتز في كتابه الذي ألّفه في الاختيار من شعر الشعراء
 وحكى عن ابن انداية انه سمع ابا نواس يقول : ما مجنت ولا خلمت المذار
 حتى عاشرت احمد بن اسحق الخاركي وكان غير الناس قبله بالبصرة دهرهم
 الاطول يكاثقون بالمجون في نعت الخمر وذكر الدساكر واظهار الفسق حتى
 جاء الخاركي فجاءه بالقول في ذلك ولم يحشم منهم فامتثلنا نحن ذلك ومن جاء
 بعدنا من يذهب مذهبنا عيال علينا^٢

وكان الامين قد عرف ابا نواس وزادته فلما صارت الخلافة اليه اتفاه
 وطلب الخصال وابتاعهم وغالى بهم وصيرهم اطعامه وشرايه وامره ونبيه
 وفرض لهم فرضاً وسنام الجرادية وفرضاً للعبثان وسامهم القرابية ورفض
 النساء الحرائر والاماء وفي ذلك يقول بعضهم من جملة ابيات خاطب بها الرشيد
 المدفون في طوس واثار الى الامين والخصيان قائلًا :

لهم من عمره شطر وتطر يباقر فيه شرب المتدريس
 وما بلغانيات لديه حظ -وى النقطيب والوجه -المبوس

وجرى الناس على دين الامين في ايتار الفامان والخصيان وعمت الرغبة
 والنفاس في اقتنائهم وايتارهم على الجوارى وصارت الخلافة الى المأمون فاد
 اليها البهاء والى القانم بها الوقار وبقيت الحال على ذلك او قريباً منه الى ان
 تعد المتوكل فملك مالك الامين وزاد عليه واشخص ابا المنبس الصيري
 وقال له : انت مني بئزلة ابي نواس من عمي وطالب الشعراء ان يشيخوا

١ دبرانه ٤٨٣٠ باريس ٢٩٤

٢ ديوان ابي نواس ٤٨٣٠ خزنة باريس ٢٩٤

بالعلماء وقد كان البحري في اول ما وصل اليه شئ بالاناث في قصيدته التي اولها :

من النفس من اسماء لو تسطيعها بما وحدها من غادة وولوعها
فاعرض عنه وقال هذا الشاعر يتهمع مما قال : عها عها فقصده البحري
بمثل قوله :

مني وصل ومنك مجر وفي ذل وفيك كبر
فحظي عنده وصار من ندمائه ودخل اليه مروان الصنبر فوقف بين يديه
فقال : هات ودعني من ذكر اسماء وسلمي فانشده :

فدّ الخيب ولا نسيه اضحى ومك غير مه
فأستوى قاعدًا وقال : زد على هذا فقال :

يضاه خالط وجوها ورد فكيف لنا بشه
تقي كا بشي النلا م وكنها مرخي ككته
ولأت اشبه بالترا ل سوالفا منه بآمه
ذمّ اختلافه جفر ما زتها احد كزته
يا حبة افه التي دان العنقاء مؤف مته
ما لاي بنت مدخل بين ابني وبين مته

فقال : لو كان تشبيك مذكراً لاصحبتك مثل ما اصحب جدي الرشيد
جذك مروان ثم وصله بجمعين الفاء^(١).

وبما تقدم يتحصل ان اول من اعان على تفشي هذا الداء الحبيث في الدولة
العباسية وحمل الشراء على احلاله محله من القزل والنسب وجعل للفلام هذه
المثولة الفاضحة في القلوب التي اغرت بتنافه ومحاكلته في زيه وشكله وحركاته
وخصائصه هم رجال بني العباس: وبعض خلفائهم والناس كما قيل على دين الماروك
ولذلك لما عاينت زبيدة ام الامين ولع ابنها بالحديم والخصيان واغراضه عن
الحرائر والاماء ارادت مداواته بنفس الداء فاخترت له الجوارى الحان
وابرؤتهن له في زي القلمان وهذا نص ما رواه المسعودي في اصل اتخاذ
الغلاميات قال :

«ذكر محمد بن علي لمبدي خراساني الاجباري وكان القاهر به آتس
 قل : خلا لي القاهر نقال : تصدقني و هذه ^١ وأشار الى الحربة فرأيت والله
 الموت عياناً بيني وبينه فقلت : اصدق يا امير المؤمنين ... قال : اخبر ام جعفر
 زدني منها ... قلت : لما افضى الامر الى ولدها يا امير المؤمنين قدّم الخدم
 وآثرهم ورفع منازلهم ككثير وغيره من خدمه فلما رأت ام جعفر شفقه بالخدم
 واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعمت رؤوسهن
 وجعلت لهن الطور والاصداغ والاقفية والبستن الاقيية والقراطق والمناطق
 فبانت قدودهن وبرزت اردافهن وبعثت بهن اليه وبرزهن للناس من الخاصة
 والعامة فاتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات والبسوهن الاقيية
 والمناطق وستوهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الطرب والسرور
 والفرح ونادى باعلى صوته : يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة
 قدمن واحد توهتهن غلمانا بالقراطق والاقية والطور والاقفية ومناطق الذهب والفضة
 فاخذ الكأس بيده فاقبلت اتأمل صفاء جوهر الكأس وفورية الشراب وشعاعه
 وحسن اولئك الجوارى والحربة بين يديه فاسرع في شربه وقال : : هيه ...» ^٢
 ومن اشهر من عرف من غلاميات الامين عريب المقيمة الشاعرة الماخنة
 حظية الخلفاء. وهي في بعض الروايات بنت جعفر بن يحيى البرمكي سُرقت
 وهي صغيرة لما انتهب البرامكة ^٣ وزعموا ان المأمون قبل في بعض الايام رجلها ^٤
 قيل انه لم يكن بين النساء. الحب منها بالشطرنج والتد حدث المتقد قال :
 حدثني عريب انها كانت في شبابها يُقدّم اليها برذون فتطفر عليه دون ركاب ^٥
 وقد وضع عبدالله بن المعتز ديواناً في اخبارها ^٦ وحكت هي عن نفسها قالت :
 كنت لمحمد الامين وصيفة في عداد الوصائف البس قبا. ومنطقة واقوم على راسه
 رستي اذ ذاك سبع عشرة سنة ^٧ وكان لبس القبا. والمنطقة يومئذ زي الغلام

(١) مروج الذهب طبعة باريس ٨ : ٢٨٩-٣٠٠

(٢) الاغانى طبعة بولاق ١٨ : ١٧٧

(٣) الثوري خاية الارب ٥ : ٩٨

(٤) الاغانى طبعة بولاق ١٨ : ١٧٥ و ١٨٧

(٥) الثوري خاية الارب ٥ : ١٠٨

(٦) الديارات للشابتي نسخة برلين ف ٢٠

وحكى جعظة في هذا المعنى قال : دخلت الى عريب مع شروين المعني ذي العيس بن حمدون وانا يومئذ غلام علي قبا. ومنطقة فانكرتني وسألت عني فاخبرها شروين وقال : هذا فتى من اهلك هذا جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد وهو يغني بالتنبور^(١).

وما لبث الناس ان شغفوا ببث هؤلاء الوصائف المقرطات المنطقات المنشبات بالعلمان رشاقة وخفة^(٢) واختاروهن لمجالس الشراب وادخلهن الملوك والاسراء. في جملة الصلات والهبات الطائلة. حدث حماد بن اسحق الموصلي قال : « كان ابي ذات يوم عند اسحق بن ابراهيم بن مصعب فلما جلسوا للشراب جعل العلمان يستقون من حضر وجاء غلام قبيح الوجه الى ابي بقدرح نبيذ فلم يأخذه ورآه اسحق فقال له : لم لا تشرب ؟ فكتب اليه ابي :

أصبح نديك اقداحاً تلها من الشرول وأنبها باقداح
من كف رم طبع الدل ريفته بعد الهجوع كسك او كفتاح
لا اشرب الرأح الا من يد رشاً نغيل راحته اشهر من الراح

فضحك وقال : صدقت والله ثم دعا بوصيفة كأنها صورة تامة الحسن لطيفة الحصر في زي غلام عليها اقية ومنطقة فقال لها . تو لي سقي ابي محمد فما زالت تسقيه حتى سكر ثم امر بتوجيهها وكل ما لها في داره اليه فحملت معه^(٣).

ومن اخبار ابي نواس مع الحبيب امير مصر انه اقدم بعض التجار من الروم بفلان فعرضوا على الحبيب . . . واتى بعض التجار ايضاً ومعه جوار روميات بديعات الحسن غريبات الجمال فعرضن عليه فاذا فيهن وصيفة غلامية عجيبة احسن من فيهن فدعا ابا نواس فقال : أرايت في الغلاميات التي وصفتهن مثل هذه قط ؟ قال : لا قال : هي لك^(٤).

وقد تنبها سابقاً على ان الغلاميات كن غالباً من الوصائف والإماء.

(١) الاغانى ١٨ : ١٧٨

(٢) قطب الرور في اوصاف المسود للرقين النديم خزائن بريثش موزيوم
Or. 3628 P 132

(٣) الاغانى ٥ : ٨١

(٤) اخبار ابي نواس لابن منظور ٣٨٢

المحبية دون حرز من الاشراف الذين كثر يترفعون عن مثل هذا الاستدلال والتقليد « ووصفت البتة كل ربيعة بنت العباس بن علي فخطبت اليه فتزوجها ثم سألها ان تظم شعرها وتنشبه بالماليك فأبى عليه فاعلمها انها ان لم تفعل فارقتها فاحتارت الفرقة فطلقها^(١) »

ولا يعرف بالضبط متى نشأ الرزي العلاني في الحضارة العربية وهل حدث في اواخر الدولة الاموية ام انه دخل العراق مع العباسيين واشياعهم من الفرس والحراسانيين ولم يجد اقل المانع اليه في عهد السفاح والمنصور ولعله كان مكتوماً غير متداول جبراً لكان المنصور الذي كان يتشدد في اللباس والاقتصاد وقد عاقب مرة احد كتابه لانه شاهد سراويله من الكتان^(٢) ونشأ ابنه المهدي على غير ما كان ابوه عليه من النجدة والحزم واليقظة وسمع قول ابي العتاهية :

الا ان حارية الاما م قد أسكن الحسن سراها
سنت بين حور قصار الخطا تجاوب في التي اكفأها
وقد انب الله نفسي جفا وانب في اللوم عذالها^(٣)

فلم ينكر عليه هذه القصة وكاد يهبها له ولم ير اقل بأس في ابراز ابنته البانوقة^(٤) لميون الملاي « في هيئة القتيان عليها قبا، اسود ومنطقة وشاشية متقلدة السيف » تير بينه وبين صاحب الشرطة^(٥) فلا بدع اذا تكاثرت الفلاشيات في زمانه وتعددت جوارى قصر الخلافة حتى بلغن في ايام الرشيد زهاء اربعة آلاف جارية « وكان الرشيد قد أهديت اليه جارية في غاية الجمال والكمال فخللا معها يوماً واخرج كل قينة في داره واصطبغ فكان جميع من حضره من جواريه المثنيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في احسن زي من كل نوع من انواع الثياب والجواهر واتصل الخبز بام جعفر فغلظ عليها ذلك فارسلت الى

(١) المعائن والاضداد المنسوب للجاحظ ايدين ٢٣٤

(٢) كتاب الوزراء والكتاب للجيشياري ١٥٣

(٣) الاغانى ٣ : ١٤٢

(٤) ورد في الكامل لابن الاثير « البانوقة » وهو تصحيف وروي في كتاب الفهرست

« البانوقة » عالم المصيرية (ص ١٢٦) .

(٥) تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة القاهرة ٥ : ٤٠٥

عليه تشكو اليها فارسلت اليها عاية : لا يهولئك هذا فوائده لاردته اليك قد عزمت ان اصنع شئاً واصدغ فيه لحناً واطرحه على جوارتي فلا تبقى عندك جارية الا بعثت بها الي وألبستهن الوان الثياب ليأخذن الصوت مع جوارتي ففعلت ام جعفر ما امرتها به عليه فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشمر الرشيد الا وعليه قد خرجت عليه من حجرتها وام جعفر من حجرتها معها زهاء الف جارية من جواريتها وسائر جوارتي القصر عليهن غرائب اللباس وكلهن في لحن واحد هزج صنعة عليه :

منفصل عني رسا قلمي عنه منفصل
يا فاطمي اليوم لن نوبت بدي ان نصل

فطرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل ام جعفر وعليه وهو على غاية السرور وقال : لم أر كاليوم قط يا سرور لو تبقين في بيت المال درهما الا نقرته فكان مبلغ ما نقره اليوم ستة آلاف الف درهم وما سمع بثل ذلك اليوم قط^{١١}.

ولا ريب ان عدد الغلاميات اربعة آلاف بين جوارتي القصر كان طائلاً لولع الرعاة والرعية في مثل هذه الازياء الظريفة التي كانت غالبة على اكثر الوصائف والخدم وكان الرشيد لا يرى بأساً في بذل غلامياته لاولاده حدث ابو بكر بن الانباري باساده الى منصور البرمكي قال : كان لهرود الرشيد جارية غلامية يعني وصيفة على قد اللام وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك امرد فوقفت يوماً تصب على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون جالس خلف الرشيد فاشار اليها كأنه يقبلها فانكرت ذلك بينها وابطأت في الص على مقدار نظرها الى المأمون واشارتها اليه فقال الرشيد : ما هذا ؟ ضعي الابريق من يذك فعلت . فقال : والله لنن لم تصدقيني لاقتلتك فقالت : يا سيدي اشار الي عباده كأنه يقبلني فانكرت ذلك . فالتفت الى المأمون ونظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجرع والحرف فرحمه وضه اليه وقال : يا عباده أتجيبا ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين قال : هي لك ...^{١٢}

(١) الاغانى ٩ : ٨٨

(٢) امالي القاضي طبعه ١٣٢٤ ج ١ : ٢٢٩ - ٢٣٠ وتاريخ بغداد ١٠ : ١٨٥

وشبَّ سامير . . . لك على حب غلاميت . . . صارت احلالة اليه كان
يلبس من مختاره من جواربه لباس اشعار ولا يكتم الشوق اليه " قال عيسى
بن ابان : كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج الى البصرة الى عيالي فقال :
انا اشوق منك الى عيالي واكن وده اليه فيحملوا . ثم قال لخادم على رأسه :
مرهم بالوصول . واقل غلام لا نبات برجه مغلف بالغالية فسلم فقال : مرحباً
فاجلسه على فخذه اليسى واقبل آخر واقمده على فخذه اليسرى فجعلت انظر
اليها والى حننها . . . فقال : يا عيسى انهما جاريتان اشتبهتا في ذي الثمان . . . " ^(١)
وقد مرَّ بنا آنفاً ولع الامين واشتوكل والقاهر بالغلاليات وامل المتوكل
كان بعد الامين اشد الخلفاء غراماً بهذا الزبي المذكور ولم يكن عنده احطى
من قبيحة ام المعتز وله فيها اشعار منها :

انسانه كالشس هيفانة احبها ليث من الانر
مليحة الشكل غلامية احسن في الحسن من الشس ^(٢)

وكان اكثر من يؤثر منهن المظمرات اي المقصصات الشعر وقد تقدم
انه سأل اسرأته ربيعة ان تقص شعرها ولا أبنت طلقها ولم يخرج قط حتى
امكنته الفرصة من انتراع من اعجبته منهن ولو قهراً قالوا : « كانت نخلة جارية
الحسين بن الحثال قبل ان يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت
للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرده لئلا فقال له الحسين : زرتنا جعلت
فذاك ؟ قال : اشتيت ان اسمع غنا . نخلة فاخرجها اليه مطمومة الشعر فقال :
يا خال أليس قد ولدت منك ابناً ؟ قال : بلى قال : انا احب ان تعتمها قال :
فانها حرة قال : فاشهد اني قد تزوجتها قومي يا نخلة . فاشتد ذلك على الحسين
فعرَّضه عنها خمسة عشر الف دينار رحول نخلة اليه . . . » ^(٣)

ومن هذه الشواهد كلها يتبين ان العراق كان موطن الغلاميات ومطلع
اقارهن ومبابة ملكهن والسوق الاعظم الذي تتفق فيه كل شاطرة وشاردة

(١) غيث الوري الذي انسجم في شرح لامية المحم باريس ١٩١٩ ص ٢٩٤

(٢) مرآة الزمان خزانه بريش موريزوم 152 a ٢٥ Or. 4618

(٣) المعائن والاضداد لبدن ٣٣٦

منهنّ خلافاً لمصر فانه ياوح انهن لم يملن قط فيها الشهرة التي بلغت في بغداد وهو لا يخلو من الترابية نظراً لما عرفت به مصر من التبسط في فنون المعيشة والاخذ بنصيب وافٍ من كل جديد في الحياة والاقبال على كل طريف وعجيب في العادات والازياء. والولع بكل طارئ من الملاحى والبدع ولا سيما في دولة الفاطميين وقد قلبنا كل ما نقله ايضا من الادبيات المصرية وكتب الاخبار والتاريخ ودواوين الشعراء فلم نهتد الا الى بيتين للامير قيم بن المعز من ارجوزة له في وصف ساقية قال فيها :

طاهرة الذيل والمختان في هيئة المرد من الثمان
شاطرة ساحرة اللسان ترفعت عن شبه النسوان^١

يريد بالختان ما يعرف اليوم بالقطنان وهو القباء الذي كان يلبسه الذكور والسقاة ولا ريب انه فاتنا كثير من امثال هذا الوصف في ما ضاع او قذفت به يد الغير والخطوب في مهب كل ريح من الفتن والنكبات وقد رويتنا قبلاً انه في ايام الحبيب امير مصر ورد بعض التجار بجوار روميات بديعات الحسن وان الامير اختار ابرعهنّ جمالاً ووهبها لابي نواس وهو ما يدل على ان القاهرة كانت ايضاً معرض الفلاميات والحلبة التي كانت تنساق فيها غانيات العقابلة والروم ولعل ذلك يصح ان يقال ايضاً في الشام لان دمشق كانت سوقاً من اهم اسواق النخاسة ومع ذلك فقد خفي علينا معظم اخبار الفلاميات فيها فلا ندري شيئاً مما كان يجلب اليها او يروج فيها لقلة احتفال المؤرخين والكتاب بشؤون التجارة وضروب المعيشة والحضارة وقد تتبعنا ايضاً اشعار الشاميين في ما جمع منها كالتية والحريدة واشباهها فلم نظفر منها بطائل ووقف بنا التوفيق امام ابيات ثلاثة لم تكن تحظر بيال تضمن الاولان اشارة الى الفلاميات في اثناء وصف دير البنات المشرف على ارض طرابلس وهما للطبي الشاعر :

ويتنا خرد كشس الضحى واغيد قد فاق بدر التمام
لولا نبات الشر في خده لم ندر اي الاغيدن السلام

وعرب منها نليت ثلث لمختاران سميان الغزي من قصيدة ذكر فيها دير
سما ومزارات القدس فقال :

دحت سبر حارب به إليه ولا امرأة عن شكل العلام

يريد انه دخل الدير بمد زهده في النساء والجواري الفلاميات وهو ما يدل
على شيوع زي الفلاميات حتى بين النصارى .

ومن الثابت المحقق ان لقب « الفلامية » هو من الالفاظ العباسية ولم يكن
معروفاً في ايام الامويين وهو ما صرح به محمد بن علي الخراساني الاخباري
حيث قال للخليفة القاهر بالله « اتخذ الناس من الخاصة والعامة الجباري
المطبومات والبسوهن الاقية والمناطق وسموهن الفلاميات » ...



كتاب

الدر المرصوف في تاريخ الشوف

تأليف القس حنانيا المنير من الرهبانية الشويرية

مهد له وعلق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس مركيس

من الرهبانية الشويرية

موت ظاهر العمر وابراهيم الصباغ (١٧٧٥)

وكان احمد بك الجزائر قد شكى الى الدولة العلية أخلاق الشيخ ظاهر العمر وعشيرته . لانه كان بعد خروجه من عنده سافر الى القطنطينية وصادف سيلاً للقبول . وسمى في الشيخ ظاهر انه ظالم غدار لا ترتاح الرعايا في ولايته . وكان قد تقدم مثل ذلك من محمد بك الي الذهب . فتحققت العناية وانعمت الدولة على احمد بك الجزائر بولاية صيدا . واعطته فرماناً بعد ذلك . وكان قد بلغها خبر وفاة ابي الذهب . فجهزت حسين باشا قبطان^(١) باثني عشر مركباً حربية . وعن يده فرمان الى الشيخ ظاهر العمر باستدعائه الى الطاعة وطلب الاموال السلطانية المكسورة عنده منذ ولايته . فحضر حسين باشا ببراكبه الى يافا . وارسل الفرمان الى الشيخ ظاهر وتعهده له ان اطاع يجعله والياً على ابالة صيدا وعكا .

فبعد الشيخ ظاهر ديواناً وجمع اليه اكابر دولته . واخذوا يتحدثون في ذلك . فمنهم من قال نترك البلد وتحصن في الجبال . ومنهم من قال نثبت مكاننا ونقاتل . فان ظفروا فهي الحاجة . والا فالقرار لا يفوت . وقال الشيخ

(١) حسن باشا وزير البحر الايضي وهو المسمى في اللغة التركية بالقوزدان (تاريخ الامير حيدر) . وقوله حسين غلطة نسخ ولا شك لان هناك شخصاً آخر اسمه حسين باشا سيأتي ذكره .

ظاهر : انا رجل قد شخت في خدمة الدولة . فاريد ان اقضي بقية ايامي في الراحة . ولا طاقة لي على القتال والتقلب في مهاته . وكان في ديوانه احمد آغا الدنكرلي . فقال : أصبت يا مولاي . ان غضب الدولة بلا عظيم ورضاها غنية . والمال الذي تدفعه هو من نعم الدولة واليها يعود بالحق . وانت تستخلف من رضاها اضعاف ما ترد عليها من مالها . وكان عند الشيخ ظاهر رجل من من نصارى عكا يقال له ابرهم الصباغ وكان متسلماً امور الشيخ ظاهر باسرها . حتى اولاده ونساءه . وكان الشيخ ظاهر لا يقضي امراً ، جل او قل ، الا برأي هذا الرجل . فقال ابرهم : يا مولاي . ليس عندنا مال يفي ما علينا للدولة . والدولة لا ترضى منا ، ولو دفعنا ما فوق حقها . فقال احمد آغا الدنكرلي : يا ابرهم . اعطني مئة الف غرش ، وانا امضي بها الى حسين باشا قبطان ، وارضيه بها ، وآتيك بالغو والامان والولاية على كل ما كان في ايدينا . فقال ابرهم : ليس عندنا ألا سيوف ورماح . فليفضل حسن باشا ما شاء . والله المستعان وخرج ابرهم من الديوان . وانفض المجلس على هذه الحال .

فحقت احمد آغا الدنكرلي من ذلك ، وكان رئيس المناربة ، وهم ضباط الابراج والاسوار . فاجتمع بهم وحدثهم بما كان . وامرهم ان يدعوا افواه المدافع ، فلا يطلقوا منها شيئاً ، ولا يدعوا احداً يطلقها عند الحاجة . وارسل الشيخ ظاهر اولاده الى خارج المدينة ، ليجمعوا ذخائر للعصار ورجالاً للقتال .

واما حسن باشا قبطان . فلما ابطأ عليه الجواب . علم ان الشيخ ظاهر اراد المساواة . فاقبل نحو عكا بالمراكب ورماعها بالكلل والقنابل . فنار الشيخ . وامر المناربة باطلاق المدافع عليه . فقالوا نحن لا نحارب عساكر السلطان . وحاصروا في الابراج . فلم يتمكنوا احداً من الدخول اليها . وكان احمد آغا الدنكرلي قد ارسل الى حسن باشا يطلبه بما كان . فاشتد غزوه . واستأمن في الهجوم على البلد . واخذت ابنة عكا تتهدم . وحجارتها تطير . فضاق صدر الشيخ ظاهر . ولم يجد له سبيلاً غير الهزيمة . فهرب طالباً الجبال . وبينما هو خارج من احد ابواب المدينة ، رماه احد المغاربة برصاص . فقتل مكانه . وهرب ابرهم الصباغ الى الخارج فنجوا ونزل عند رجل من مشايخ المتاولة ، يقال له الشيخ علي درويش . ودخل حسن باشا الى المدينة . ولم يتعرض



الطبيب الأثر

الأب مبارك العتيبي (توفي الثاني ١٩٢٢-١٨٥٢)

وسلمه حسن باشا قبطان مدينة عكا . وتوجه بالمراكب الى بيروت . وكره
لامير يوسف ونحوه قد رحلوا منها الى الجبل . وارسل الى الامير يوسف
يطلب منه الاموال السلطانية المكسورة عن ست سنوات . من حين ما
تولى الشيخ ظاهر العمر على صيدا . فاجاب الامير يوسف انه في هذه السنين
سرف اموالا كثيرة على الساكر في قتال الشيخ ظاهر والمتاولة . وانه دفع
الى عثمان باشا واراداه بقية الاموال المكسورة . وزور وصولات في ذلك وارسلها
اليه مع كتابات لطيفة وهدايا فاخرة . وسأله ان يكف احمد باشا الجزائر عن
التعدي عليه . فصار ذلك مقبولا عند حسن باشا . وارسل الى الامير يوسف
كتاب الرضى والامان وطلب منه ان يرسل اليه مئة الف قرش فقط ، لكي
يرسل اليه وصل الخلاص ، ويقرره على ولايت . فجهز له الامير يوسف المطلوب
وارسله اليه . قتله وارسل اليه التقرير على حكم بلاد الشوف والبقاع
وبيروت وجبل . وان لا يكون لاحد باشا الجزائر سلطة عليه الا في ايراد
الاموال السلطانية لا غير . ثم توجه حسن باشا راجعا الى عكا . وفي وصوله
امر بقتل احمد آغا الدنكرلي متبعا اياه بعدم المحافظة^(١) . وكان ذلك وفاء عن
سعيه المذكور في نوبة الشيخ ظاهر العمر . وكان احمد باشا الجزائر قد ابتداء
يعين الساكر عنده . فحضر اليه نحو ستمئة خيال قبليس ، فاستخدمهم . واقاموا
عنده . وكان بعد رجوع حسن باشا قبطان من بيروت ، ارسل ضبط مداخلها .
وارسل الى الامير يوسف يطلب منه المال السلطاني عن تلك السنة . وارسل
خيل القبليس الى بيروت . ولما بلغ الامير يوسف مدير عسكر الجزائر من

(١) ثم رفع حسن باشا رأسه فيلأ والتفت الى الدنكرلي وقال له : من اي بلاد من
الغرب انت ؟ - قال له من ناهرت . - فقال له : وما كانت صنتك هناك ؟ قال له :
كنت حطائا غافيا . - قال له حسن باشا : وكمن صارت لك في خدمة ظاهر ؟ احابه :
ما يزيد عن اربعين سنة . - قال له الباشا كم كان دخلك منه ؟ - اجاب الدنكرلي : كان
دخلي في اول سني خدمتي عنده قليلا . ولكن لم يكن يقل عن شقي كيس في ولايتي . . .
فقال له حسن باشا : تأكل خبز انسان اربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتغضب سيفك
بدمه ! ينتقم الله مني اذا كنت لا انتقم منك لظاهر . - ثم امر من كان في حضرته من
ملازميه فاخذوا الدنكرلي فخنقوه ورموه في البحر . فكان هذا امير جزاء خيائته
اولاه . (تاريخ ظاهر العمر) .

عكا ارسل المشايخ النكدية بمشي نمر يسكون ضريق السعديات . فاكوا بين الصخور فوق ذلك الطريق حتى وحل السكر . فثاروا عليه . وانتشبت بينهم القتال . وكانوا يظنون ان الحيل لا تقدر ان تصل اليهم امر المكان . فنجست القيس الى بين تلك الصخور . واستظهرت عليهم . فقتلت منهم جماعة . وقتل الشيخ ابو فاعور نكد . وقبضوا على ولده الشيخ محمود وعلى الشيخ واكد ابن الشيخ كليب . وتركوا اخاه الشيخ بشير مجروحاً بين حي وميت . واعتصموا خيلهم وسلاحهم . ورجعوا الى صيدا بالاسبين المذكورين . فمجتها المسلم في القلعة . وكان ذلك في شهر آب . وهذه اول موقعة حصلت بين الجزائر واهل البلاد . ولما بلغ الامير يوسف ذلك استطار فواده وارسل الى حسن باشا ان الجزائر ابتداء بالمطاولة على بلاده . وان ارسل عسكرياً فغار على اطراف البلاد وقتل ونهب واستأسر . وان ذلك انتقاماً منه عن ايراد المال الى حسن باشا . وكان حسن باشا يكره الجزائر . لانه تولى ايلة صيدا عن غير يده . فاستدعى اليه الجزائر . وزجره . فاعتذر اليه . وارسل حسن باشا الى الامير يوسف يعده انه متى رجع الى الباب العالي ينزل الجزائر عن ايلة صيدا . وبعد ذلك سافر الى القسطنطينية . واخذ تلك الاموال التي ضبطها من عكا . وتمرد الجزائر واعتز بعد ميده . وعزم على مضاجرة الامير يوسف وتقيده ببلاده .

وفي سنة ١١٩١ (١٧٧٧) ارسل الامير يوسف الى احمد باشا الجزائر يدأله اطلاق المشايخ النكديين المسجونين في قلعة صيدا . فسمح باطلاقهم تحت ايراد مبلغ مئة الف غرش . وارسل في تحصيل المال مصطفى آغا ابن قراملاً ومعه اربعة خيال قبيس . فاحتجب الامير يوسف وارباب دولتهم من حضورهم . ولحقوا ان مرادهم قتل الامير يوسف وامتلاك الدير . لانهم رأوا ثقباً قد احدثوه في المكان الذي يتزلون فيه . آخذاً نحو دار الامير يوسف . فاحتجب الامير يوسف عنهم وامر رجاله ان يلازموا سلاحهم . وأشار الشيخ عبد السلام الهاد ان يوزع الامير يوسف ذلك المطالب على اهل البلاد . ويرسل جماعة مصطفى آغا في تحصيله ويرسل الى اهل البلاد سرّاً ان كل من عنده واحد منهم يقتله . فيكفي الامير يوسف شرم على احسن سبيل . ويكون ذلك بمشاركة اهل البلاد جميعاً فلا يتخلى احد منهم عن معاضدة الامير يوسف .

فرأى الامير يوسف والاكثر من ذلك صواباً . ولم يرضَ بذلك الشيخ
كلب نكد خوفاً على المسجونين منهم في صيدا . فتكلم الامير يوسف مع
مصطفى آغا ان يصرف المسكر الذي معه . ويتى بانقار منه على تحصيل
المال . وكان مصطفى آغا قد رأى انه لا يقدر على قتل الامير يوسف . فاجابه
الى ذلك . وكان الامير يوسف قد وزع ذلك المال على مناصب البلاد . وارسل
في ذلك حوالات ومباشرين . فانكر امراء المتن ذلك وطردوا الحوالات من
عندهم . فعظم ذلك على الامير يوسف . وغزم على قصاصهم . وارسل مصطفى
آغا الى حرش بيروت لاجل قصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي لهم
في تلك الاطراف . وكان مصطفى آغا قد اصرف جماعته في صيدا . فاستحضرهم
الى هناك . وصار المسكر يصعد الى اطراف المتن ينهب ويمرق ويعود الى
الحرش . فاحرقوا قرية المكلس والدكوانة والجديدة . واتصلوا الى انطلياس .
فنهبوا ما وجدوه في الدير والقرية . واستاقوا مواشي كثيرة . وصادفوا ناساً
من الرعايا . فقبضوا عليهم . واحضروهم الى مصطفى آغا . فارسلهم الى صيدا .
وبينا هم في الطريق اعترضهم المشايخ النكدية . فكفروا الاسرى واطلقوهم .
وعرب الذين كانوا معهم من رجال الدولة . وكان الامير يوسف قد اتفق مع
امراء المتن خوفاً من غلبة الجزار على البلاد عند انقسامها . وبلغ مصطفى قراملا
ذلك . وعلم بتمازض المشايخ النكدية لاتباعه وفكهم المربيط . فركب
بعسكره . وكبس قرية الشويفات فلم يقدر عليها . فقتل من عسكره جماعة .
وعلم انه لا يقدر على البلاد من هذه الجهة . فرجع الى صيدا . وعرض على
احمد باشا الجزار ان الامير يوسف قد اتفق مع اهل البلاد على المعاودة . فاضاف
اليه عسكراً ، وتوجه به الى اراضي البقاع . فاخذ يضبط غلال اهل البلاد التي
هناك . ويتناول على الناس . فهربوا من وجهه . وجمع الامير يوسف عسكراً
وارسله لقتاله . فحدث بينهم مواقع كثيرة والنصرة لمسكر الامير يوسف .
وكان الجزار لا يفتقر عن امداد عساكره بالرجال والذخائر . وحدث بين المسكرين
موقعة عظيمة في مكة . فلاحطت الدولة بعساكر البلاد . وظفروا به . وقتلوا
منه خلقاً كثيراً . وقتل في ذلك اليوم الشيخ سيد احمد الهاد والشيخ ظاهر
عبد الملك . ولو لم تأتهم النجدة من البلاد لما بقي منهم احد .

ثم توجه مصطفى آه وكس مدينة ملط فشتت هاه . وقدم على الأمير محمد الحرفوش . والبعض من اعيان البلد ومشايخها . وحبسهم . واخذ منهم مالا حزيلا . ثم كبس قرية سعدناين . ونهب مواشيها . وقتل من قاومه من اهلها .

احراق زحلة

وفي تاسع عشر قوز كبس زحلة . واضطربت الناس . وهاجت . وهرب اكثرهم الى الدير الذي بها وما فرقه من الجبل . وحاصر بعضهم في الدير^(١) . ووقع القتال بينهم وبين الدولة . فقتلوا منها اثنا عشر قاتلا . وكسروها فرجعت نحو البلد . ونهبت شيئا وانهمزت . وحضر بعد ذلك بعض من الاسراء . والمشايخ من الجبل رجال . فجدد عسكر الدولة ركبة ثانية على زحلة . وكان ذلك في سابع شهر آب . ولما وصلوا الى البلد هرب عسكر البلاد من غير قتال . وقيل ذلك كان لحيانة فيه . فطمع عسكر الدولة . وهجم بسيوفه فادرك البعض من اهل البلد ومن عسكر الجبل . فانتشب بينهم القتال . وبينما هم يقتلون وصل الامير مصطفى الحرفوش ومعه رجال قاتل . فصادم الدولة وقتلها . وصار بذلك فرصة للناس ان تنهزم . فانهمروا . وثبت الامير مصطفى . فكانت الدولة راجعة الى القرية فاحرقها بالنار . واحرق الدير وكل ما فيه . وسميت هذه السنة سنة ابن قراملا الى يومنا هذا . واعتد هذا الرجل وبترد . وحدثته نفسه ان يقتل الجزائر وبترلى مكانه . واتفق على ذلك مع عبده آغا وغيره من قواد الساكر . وبلغ ذلك الجزائر فاحتسب . وارسل قطع خرج ابن قراملا . فرجع الى حيث منشأ ومقامه . وهناك حدثت فتنة بينه وبين بني عمه فقتلوه وارتاحت الناس من شره .

ابن قراملا

وكان هذا الرجل ظالما غدارا . سفاكا للدماء . بطلا في الحرب لا يطاق .

(١) هو دير مار الياس النبي للرهبانية الباسيلية الشورية . بنى نحو سنة ١٧١٠ على الكنف الشمالية الغربية من البلدة . وكانت زحلة اذ ذاك قرية صغيرة وعلى اثر نائه لجأ الى جواره كثير من السكان . فكانوا يملكون في ارضه . وكان كثير منهم من رأس بلبك قسي الحلي الذي قطنه حي الراسية الى اليوم . واخذت زحلة تنمو وتنتع منذ ذاك . وكان الدير مدي تاريخه ملجأ وحي السكان . وتحمل كثيرا من الكوارث والاضرار من مثل هذه المذكورة في المتن .

وكان مفرماً بالصيد واسب الحيل . وكان فارساً عظيماً . وقيل انه كان يتزل الى الميدان في دير القمر ويرمي الجريدة من نصف الميدان نحو الشرق فتتمر من فوق السراي . ونحو الغرب فتتمر من فوق المأذنة . وكان طويل القامة رقيق الجسم ، اصفر اللون بلحية سوداء ، صغيرة . وكان له من العمر خمسة وعشرون سنة لا غير .

اغتيال الشيخ علي الظاهر

وفي هذه السنة توفي الامير حيدر الحرفوش في مدينة بعلبك . وتولى مكانه اخوه الامير مصطفى . وكان الامير حيدر شجاعاً حكيماً كريماً حسن السيرة . وفي هذا المهد كان احمد باشا الجزائر لم يزل يتقصد قتل الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر العمر . وبذل جهده في ذلك . وارسل اليه الماسكر مراراً ولم يقدر عليه . غير انه ظفر بولديه الحسن والحسين فقتلها . وذاق صدر الشيخ من عداوة الجزائر . فالتجأ الى جبل الشوف . وتزل في قرية نيجا . فلم يقبله الامير يوسف خوفاً من الجزائر . فرجع واقام في نابلس . وكان من خيالة القبايس التي استنجد بها الجزائر في عكا رجل يقال له علي آغا القيصري . انفرد عنهم لعداوة كانت بينه وبين عبدالله آغا . واقام عند محمد باشا العظم في دمشق . وكان محمد باشا قد اتهم من طرف الدولة بؤازة الشيخ ظاهر العمر . فاراد ان يبرز نفسه . وطلب من علي آغا ان يمثاله على قتل الشيخ علي الظاهر . فكذب علي آغا الى الشيخ علي انه قد غضب من محمد باشا العظم وكره الاقامة عنده . وانه يريد ان يتحول اليه ، ويكون مسعفاً له على مقاومة الجزائر . فاجابه الى ذلك . وحضر علي آغا بجماعته . وكان قد اطلع اكابرهم على سره . وما اهلهم على اشارة تلوح منه فينهضون لحاجته . ولما دخلوا على الشيخ علي رحب بهم واكرمهم . وهو قد امن اليهم لعله انهم من انصاره . ولما سئحت الفرصة اشار علي آغا الى اصحابه . فوثبوا على الشيخ علي وقتلوه واخذوا رأسه الى دمشق . فارسله محمد باشا الى القسطنطينية . وباد ذكر بني ابي زيدان بعد الشيخ علي الظاهر .

ولم يكن اقوى من الشيخ علي في زمانه ولا اكرم ولا افصح ولا اغنى نفس منه . وقيل انه كان لا يرضى ان يزوج بناته لئلا يدخلن تحت طاعة

الرجال . وقد رأينا واحدة منهم بعده تدور على أهل السم سائفة عطية وهي لا تفرق عن أدنى الفقراء . لكن نفسها لا تسمح بزال أدنيا . الناس كغيرها . وأما أخوة الشيخ علي فكانت الدولة قد انعمت عليهم بعد وصولهم إلى القسطنطينية . واقامت الشيخ عثمان وزيراً على مدينة جدة : والشيخ أحمد وزيراً على مدينة في بر الروم . والشيخ صالح كان يشترك معها في تلك النعمة . وكلهم لم يسألوا عن حال من تخلف بعد أبيهم . وكانت أخواتهم على هذه الحالة الذميمة .

وبعد قتل الشيخ علي تقلب أحمد باشا الجزائر على بلادهم . ورتب عليها مطالب . وأجرى فيها عوائد لم تكن قبل ذلك . وذلك تلك العناثر . واندردت عنها تلك الكرامة . فبجان من يده الملك وهو على كل شيء . قدير .

٥

وفي هذه السنة أرسل وزير طرابلس نائبه عثمان بك شديد . فكتب الأمير حيدر ابن الأمير ملحم الشهابي في الهدن الجز من معاملة جليل . وكان معه عسكر من طرابلس الشام . فعاصروه في القرية يومين : وبلغ ذلك المشايخ بني رعد في الضنية فاقبلوا برجالهم لاسعاف الأمير حيدر . واجتمع أيضاً رجال من القرى المجاورة فكسروا عسكر طرابلس وقام ذلك العسكر إلى اميرون . وصار يتقوى من معاملة طرابلس وتلك القرى . ووصل الخبر إلى الأمير يوسف فجمع عسكراً من بلاد الشوف وأرسله إلى أخيه الأمير حيدر . واقبلوا جميعاً إلى قرية اميرون وكسروا عسكر طرابلس . فظفروا به . وقتلوا أكثرهم .

وفي هذه السنة في شهر حزيران حدث مطر غزير وبرق ورعد ورياح عاصفة كما يكون في معظم الشتاء . ودام المطر يومين متلاحقاً حتى فاضت الأنهار ودارت الطواحين . وفي هذه السنة حضر جراد إلى هذه البلاد . وكان كثيراً جداً . نعم السواحل والجبال . واضر بالناس مضرة عظيمة .

الراهبة هندية

وفي هذه السنة تلاشت أخوية دير بكركي في كسروان . وكان بلم الراهبات ورئيسهم التي يقال لها الام هندية . وكانت امرأة حليمة قد حضرت

الى هناك . فدخلت في الرهبة وتظاهرت بالقداسة . وصارت تجترح العجائب والمعجزات . وشاع لها ذكر عظيم . واعتقد بها كثير من الناس . ودامت على ذلك سنوات . حتى كشف الله سترها . فاذا بها ساحرة كذوب خادعة . فبادت تلك الاخوية . واخرجت هندية من الدير فاقامت في الزرق عند بني خضراء . لانه كان لها منزلة عندهم ، وهم الى الآن يعتقدونها ، وكذا بني الجلماساتي من المكان المذكور .

ومكث هناك الى ان ماتت . ومن اراد ان يقف على تفصيل ذلك بالكفاية فليبه بكتابنا الآخر المختص بتاريخ الرهبات .

الامير يوسف واخوته

وفي سنة ١١٩٢ (١٧٧٨) وقع الاختلاف بين الامير يوسف والمشايع النكدية لانه قضر في استخلاص المسجونين منهم في صيدا . ودبروا على خلع من الولاية واقامة اخويه الامير سيد احمد والامير افندي مكانه . واتفقوا معها ومع المشايخ بني جنبلاط . واخذوا في مقاومته . وانهاض مناصب البلاد ضده . فاشتدت الحركه . وتكاثر احزابهم وبلغ الامير يوسف ذلك . وعلم انه لا يقدر على مقاومتهم . فتارك دير القمر وتوجه الى غزير في كسروان . واتفق انه بعد مدة يسيرة توفي الشيخ علي جنبلاط . وحضر الامير يوسف الى مناحته . وبوجوده في تلك المناحة اظهر انه يريد ان يكون الحكم لاخويه . وتنزل عنه بارادته . وسلمها اياه . وارسل البعض من مشايخ البلاد الى احمد باشا الجزائر في طلب الخلعة لها . فاجاب الجزائر الى ذلك . وحضروا بالخلعة للامير سيد احمد والامير فندي . فحضروا باهلها الى الدير . وتلما زمام الحكم . ووزعا الاموال السلطانية . وطاعتهما الكس الا ان حكمهما لم يطل . لان الامير يوسف اخذ يفند بعض الامراء . والمشايع . ويستميلهم اليه . فغرضوا الى الجزائر في شأنه . وعلم بذلك الامير سيد احمد والامير افندي . فكتبوا الى الجزائر . وطلبوا اسمافه على مقاومة اخيها . فارسل لها عسكريا الى حرش بيروت . وحضر بنفسه الى مدينة بيروت . فحضر الامير سيد احمد الى مواجهته . فطيب قلبه . وارسل معه عسكريا من رجال الدولة . وتوجه به الى جبيل لكي يرفع منها

احياه الامير حيدر الذي كان مقلدها من اخيه الامير يوسف . وتوجه الامير
افندي الى كسروان ليطرد احياه الامير يوسف من عرير . فانتقل الامير يوسف
من غرير الى بسكتا . ووصل الامير سيد احمد الى جيل وحاصرها . وضيق
على اخيه الامير حيدر . ودام الحصار مقدار شهر . وفي تلك المدة ارسل الامير
يوسف الى الجزار . ودفع له مئة الف قرش على الولاية . فقبل منه ونكث
عهده مع اخويه حسب عوائده . وقام من بيروت الى صيدا . ونهض الامير
يوسف من بسكتا الى بعقلين منتظراً وصول الخلعة اليه . ولما بلغ ذلك الامير
افندي اصرف المكر الذي معه . وحضر الى المتن . والامير سيد احمد بعد
ان كاد يفتح جيل نهض حالا وهرب من بين عسكر الدولة . وحضر الى
المتن ايضاً . ورجع المكر نحو بيروت . والذين كانوا في جيل متضايقين من
الحصار خرجوا وضبطوا كل ما وجدوه لمسكر الدولة . وكان قد قتل من
عسكر الامير سيد احمد مقدار مئتي نفر . من الدولة واهل البلاد . لانه في
محاصرته لجيل اتى لآخيه الامير حيدر عسكر من طرابلس معقلاً له . فحدث
بينه وبين عسكر الامير سيد احمد موقعة . وقتل رجال من الفريقين وانكسر
عسكر طرابلس . وتمرد بعد ذلك الامير سيد احمد . وامل بالظفر . فلم ينجح
له امل . وقد اقام هذا الامير جملة حركات ولم ينجح بيمينه ولا في واحدة منها .
ولما حضر الامير يوسف الى بعقلين جمعت المشايخ النكدية رجالها وقاومتهم
ومنعتهم عن الدخول الى دير القمر . فاقام في بعقلين الى ان حضر اليه الشيخ
حين جنبلاط والشيخ عبد السلام عماد وبقية المناصب . وحضرت اليه الخلعة مع
اسعد بك ابن طوقان . فرأى المشايخ النكدية انهم متعبون . فارتحلوا من الدير .
واقاموا في بعض قرى المناصب . وحضر الامير يوسف الى الدير بحولة عظيمة .
وارسل اسعد بك ابن طوقان يتحول على المشايخ النكدية بالمئة الف غرش التي
تهد بها لاحمد باشا الجزار . فترحوا من المناصب . وتزلوا على الشيخ ناصيف
القصار في بلاد المناولة وهرب الشيخ محمد القاضي الى حوران . واما الامير
سيد احمد والامير افندي فتوسط امرهما المشايخ بنو جنبلاط . وتراموا على
الامير يوسف واستعظوا خاطره عليها . ورجعا الى دير القمر . فارتلها في
دور المشايخ النكدية . وصرفها في بعض ارزاقه التي كان قد ضبطها .

٠٠٠ والمشايع الجنبلاطية

وفي ١١٩٣ (١٢٧٩) بعد ذاك عدة من الايام ارسل الشيخ كليب نكد فترامى على سعد الحوري الذي كان مسلماً تدبير امور الامير يوسف . ان يستطف خاطره عليه وعلى بني عمه . وكان بينها محبة قديمة . فاصطحب سعد الحوري امره . فقتلوا في المناصب . وصار ذلك ضد ارادة المشايخ الجنبلاطية . فاخذوا في مضاجرة الامير يوسف . وكان الامير يوسف قد وزع مطلوباً على البلاد . فقاموا ضده . وهيجوا مشايخ العقول وبعض المناصب وجمهور العامة . وانهمضهم . فاجتمعوا في عين السمقانية . واتفق رأيهم ان يقوموا عليه ويخلصوه من الحكم . وتوجهوا بجسور عظيم الى دير القمر . فالتقاهم بعض المشايخ الى الطريق . وتكلموا معهم بما يكن هيجانهم . وضمنوا لهم رفع هذا الطلب عن البلاد فرجعوا من الطريق .

وفي سنة ١١٩٤ (١٢٨٠) لما رأى المشايخ الجنبلاطية ان الحركة الاولى لم تتم على مرادهم فاخذوا في اقامة حركة اخرى . وعملوا على قتل الامير يوسف ونائبه سعد الحوري . وكان قد صفا خاطر الامير يوسف على المشايخ النكدية . وصاروا اصدقاء له . فتكلمت المشايخ الجنبلاطية سرّاً مع الامير سيد احمد والامير افندي انهم يقتلون الامير يوسف . وبعد ذلك يقتلون المشايخ النكدية وتطيب لهم الايام . وتكلموا مع الشيخ كليب نكد في شأن قتل الامير يوسف . فاعطى رضاه . ولكنه في الباطن لم يكن يرضى بذلك امدم الثقة بالامير سيد احمد والامير افندي . لانهم كانوا في الحركة السابقة اكبر المصنفين لها . ولما توجهوا من البلاد تسلما املاكها . وفحصا عن ودائعها . وكلنا اكبر الاعداء . انه . واخيراً تقرر الرأي انهم يفقدون بصر الامير يوسف ويقتلون سعد الحوري . ولأجل التسكن من عهد الامير سيد احمد والامير افندي طلبوا منها ان يحلفا لها في البيعة التي يقال لها كنيسة التلة في دير القمر على ان لا يغدرا بهم واتفقوا على ذلك . وفي تاسع عشر كانون الاول ليلة الجمعة اجتمعوا في دار الامير افندي وعند نصف الليل توجهوا نحو الكنيسة ليحلفوا . وكان الشيخ كليب نكد سبق فاخبر الامير يوسف بذلك الاتفاق . ولما توجهوا تلك

لمية في مكتبة رسول به يامره بغيره . وكان الأمير يوسف مستحسناً
قوة من المعارضة فإرساله ليعتد على الحوية ويحضرهم . ففصوا
واكتموا في طريق الكنيسة حتى مر بهم اليوم . فوثقوا على الأمير الفندي
واستأنوه لدى أخيه الأمير يوسف . فقام إليه وقتله في الحال . وأما الأمير
سيد أحمد فهرب ولم يقدروا على مسكه . ومضى ملتجئاً إلى المشايخ بني
جبلات . وعند الصباح شاع الخبر في كل البلاد . واستهجن ذلك الناس
لعدم سبق العادة به . فأرسل الأمير يوسف إطلاماً إلى جميع مناصب البلاد
يخبرهم بحقيقة الحال إلا الأمير بشير ابن الأمير قاسم لأنه كان من عرض المشايخ
بني جبلات . وكان مقيماً عند عم . ولما وصل الأمير سيد أحمد إلى المختارة . وأعلم
المشايخ الجبلاتية بما كان . جمعوا رجالهم وكتبوا إلى المشايخ بني عاد وغيرهم
وعزموا على المسير إلى دير القمر ليطردوا الأمير يوسف من هناك . وكان أكثر
الناس لما سمعوا بقتل الأمير يوسف لأخيه أنكروا ذلك واستبجوه . وكان الأمير
سيد أحمد اتفد الكتابات إلى جميع أهل البلاد يشنع هذا الفعل ويعتذر بأن
مراذه كان الاتفاق والالفة مع المشايخ فقط ، لا مضره أخيه . ولما رأى الأمير
يوسف أن البلاد قد قامت ضده خشي وتول إلى عكا . وعرض إلى أحمد باشا
الجزائر الأمر الذي توقع . ولما بلغ الأمير سيد أحمد تول أخيه إلى عكا جمع
رجال الجبلاتية والمهادية وحضر بهم إلى دير القمر . وكتب إلى أفراد المتن
وبقية المناصب فحضروا جميعاً إلى الدير . وعقدوا معه ديواناً وأجروا عهداً
واقساماً بأنهم لا يقبضون ولاية الأمير يوسف . وعرضوا إلى الجزائر بذلك .
وطلبوا منه الخلة للأمير سيد أحمد . فلم ينفصل الجزائر بذلك ، لأن أكثرهم
كان قد كاتب الأمير يوسف سراً بأن الكتابة ضده كانت حياء . من الأمير
سيد أحمد . وذلك لعدم تقبلهم بالأمير سيد أحمد . لأنه كان خائفاً غداراً متقلباً
لا يبقى على صاحب . والأمير يوسف عرض تلك الكتابات على الجزائر .
فتمكن عنده . وانعم عليه . وجيز معه عسكراً عظيماً . وحضر الجزائر
بنفسه إلى مدينة صيدا . وتوجه الأمير يوسف بذلك العسكر إلى قرية علان في
أطراف البلاد . وشاع خبره في البلاد فحضر إليه المشايخ بنو تاجوق وبنو
عبد الملك وأكثر اليزيدية . وكان حضورهم بوسيلة الشيخ عبد السلام العماد .

الا انه بقي في دير القمر متظاهراً انه من غرض الامير سيد احمد . وجمع
الامير سيد احمد عسكراً من البلاد واقام عليهم قائدا ابن اخيه الامير قعدان .
وتوجه الامير قعدان بالهـكـر الى غلمان . وكان ذلك في سادس شهر كانون
الثاني . فالتقاء عسكر الامير يوسف . وانشب بينهم القتال . وما لبثوا قليلاً
حتى انكسر عسكر الامير سيد احمد وقتل منه جماعة . وقبضوا على جماعة .
واحضروهم لدى الامير يوسف . فعفا عنهم . وامر باطلاقهم . وقتل في ذلك
اليوم الشيخ حمود العبد . وكان سيد قومه . وارسل الامير يوسف لني عمه
الذين في دير القمر ان يتحملوا حذراً عليهم . ورأى الامير سيد احمد ان حزب
اخيه كثير . والوزير معه . فرحل مع المشايخ بني جنبلاط نحو وادي التيم .
وارسلوا دفعوا الى محمد باشا العظم والي دمشق الشام دراهم لا اعلم مقدارها .
وطالبوا منه ان يصفهم بارسال عسكر فاجابهم الى ذلك كما سيأتي .

وفي سنة ١١٩٥ (١٧٨٠) بعد توجه الامير سيد احمد والمشايخ الجنبلاطية
الى وادي التيم حضر الامير يوسف الى الشوف . وتقدمت اليه مناصب البلاد .
فقتل في المختارة . وامر بضبط كل ما بقي من اسباب المشايخ بني جنبلاط .
وضبط املاكهم . وهدم منازلهم . وبلص كل من ينسب اليهم . وطلب
مصرف عسكر من امراء المتن . لانهم مالوا الى بني جنبلاط . وقبلوا ودايعهم
وحريمهم . وارسل جانباً من العسكر الى ساحل بيروت مع ابن عمه الامير حسن
ابن الامير قاسم لقصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي هناك . فقاموا
على الشيخ عبد السلام الهادي والشيخ كليب نكد . وتواسط امرهم تحت ايراد
خمسة وعشرين الف غرش وحضروا الى مراجعة الامير يوسف . وصفا خاطره
عليهم . ورفع عنهم القصاص . واما الامير سيد احمد والمشايخ بني جنبلاط .
فارسل لهم محمد باشا العظم خمسة خيال الى البقاع . وبلغ الامير يوسف
ذلك . فارسل اليهم عسكراً من البلاد ورجال الدولة ولما علم الامير سيد
احمد بخروج عسكر اخيه ورأى عسكر دمشق لا يكفي لهذه المهمة . رأى
انه لا يقدر على مقاومة اخيه . فراسله وطلب رضاه . فاجابه الى ذلك . وامره
ان يرفع نفسه من بين بني جنبلاط . وسمح له ان يحضر الى المتن . فحضر
واقام عند الامير اسماعيل قايدبيه في صليا . ورجعت المشايخ الجنبلاطية الى وادي

اتيم . وعسكر محمد ، ابي دمشق . وكان لامير بشير ابن الامير قاسم مع
شايخ بني جنبلات . ومضى معهم الى وادي التيم . وهناك توسط امرهم الامير
اسماعيل خال الامير يوسف وحدثوا عنهم تحت ايراد مئة وثلاثين الف غرش .
فدمروها وعادوا الى اماسكنهم . وارتفع الضبط عن املاكهم . وسمح للامير
بشير ان يقيم في بتدين بالقرب من دير القمر . وللامير سيد احمد ان يقيم في
الشريقات . وصرف الامير يوسف عسكر الدولة . واستقر في دير القمر
وطاعته البلاد .

وفي هذه السنة في شهر ايار حدث مطر عظيم . ففاضت الانهر . وتجاوزت
حدودها . وعظم جريان نهر الكلب في كسروان . فساق اخشاباً واشجاراً
عظيمة . ولما وصلت الى الجسر صدمته فانهدم . وكان جسراً عظيماً من بناء
القياصرة . وصارت الناس بعد ذلك تعبر النهر في القوارب .

وفي هذه السنة التجد للامير يوسف ولد وصماه الامير حسين .
وفيا حدثت زلزلة في الالبلة الحادية عشرة من شهر كانون الثاني بعد المغرب
بساعتين . وكان في القمر خمسة عشر يوماً . وكانت رياح في تلك الليلة .
وفيا وزع الامير يوسف مالا مفروضاً على شجر التوت . كل ما يكفي
منه اوقية من بذر القز غرشين ونصف . وسمى هذا المطلوب بورية . وتدمرت
الناس كثيراً من هذا الطلب .

وفيا وزع الامير يوسف ايضاً مالا على الرجال كل بالغ منهم غرشاً واحداً
وسمى هذا المطلوب شاشية . وارسل لجمع هذا المطلوب الامير مراد ابن الامير
منصور الشهابي . فنهضت اهالي البلاد . وكاتب بعضهم بعضاً . وعملوا جميعاً في
ظهر الحين . واتفقوا على انهم لا يدفعون هذا المطلوب . وكان الامير مراد
في الشريقات . فتوجه منهم اتاس ليطرده . وقبل وصولهم علم بذلك
فانصرف . وكانت هذه الحركة من عبد السلام اللهاد . فبلصه الامير يوسف
بعشرة آلاف غرش . وحول عليه الامير بشير ابن الامير قاسم وابطل الطلب
عن البلاد .

وفي هذه السنة كان احمد باشا الجزائر قد جاز على المساولة الذين كانوا لم
يزالوا مقيمين في بلاد بشارة . فضاقت صدورهم من شدة الظلم والاهانة .

فاجتمعوا في مشايخهم . واتفقوا على عصاة الخزار . وتصلبوا للمقاومة . فارسل اليهم عسكراً من السكان والمقاربة . وجمعوا رجالهم . وصادوا عسكر الخزار . وانفشت بينهم الحرب الى اواخر النهار . فانتصر عسكر الخزار . وقتل منهم مقتلة عظيمة . وقتل في ذلك النهار الشيخ ناصيف النجار . وكان عمود المتأولة وافرس اهل عصره . وقتل مقدار ثلث عسكر الخزار . وانهمزمت المتأولة بعد ذلك . ونهب عسكر الخزار بلادهم ربا نساءهم واطفالهم . وكلت تباع المرأة بقرشين والولد بقرش واحد . ومن ذلك الوقت رحل الذين سلموا منهم الى بلاد بعلبك . واحتسروا عند الامراء بني الحرفوش . وفي هذه السنة بآخر شهر نيسان حدث تلج وبرد عظيم بقدر الجوز واتلف اشجاراً كثيرة .

الشيخ غندور الحوري

وفي سنة ١١٩٨ (١٧٨٧) ائجد للامير يوسف ولد وسماه الامير سعد الدين . وكان قد تماطى بتدبير امور الامير يوسف الشيخ غندور ابن الشيخ سعد الحوري . واعلم ان جميع الحركات والاعمال التي كانت تقع من الامير يوسف كانت جميعها بتدبير الشيخ سعد الحوري وليس منها للامير يوسف سوى الاسم فقط . لان الامير يوسف لم يكن حاذقاً في تدبير الاعمال . وكان الشيخ سعد حكيماً بصيراً في الامور . وكان ولده الشيخ غندور شيباً به في حكمته ولكنه لا يشبهه في وداعته وقناعته . لانه كان متعظاً كثير الطمع . وكان قد دخل في باب الامير يوسف وتسلم جميع اموره لان اياه كان قد طمن في ايامه واحب الراحة .

الامير اسماعيل

وكان حكم مرجييون في يد الامير اسماعيل حاكم حاصيا . وكان على مرجييون ستة آلاف غرش يدفعها كل عام الى الوزير ويأخذ مداخيل مرجييون وحاصيلها اضعاف الاضعاف عن ذلك . فيكون معاشاً له وللامراء بني عمه في وادي التيم . لان معاش الامراء هناك من يد الحاكم منهم .

وارسل الشيخ عندور الحوري دفع الى الوزير خمسة وعشرين الف عرش على مرجعون وتسلمها وتصرف بها . ووقع الامير يوسف يد خاله الامير اسماعيل عنها^(١) . فضاقت معاش الامير اسماعيل وعائلته . واضطر ان يحضر الى درة القمر مترايباً على الامير يوسف . وتوسل اليه ان يتوكلها له وهو يدفع الخمسة وعشرين الف عرش كل سنة ويقدم له خمسة آلاف عرش ايضاً . فابى الشيخ عندور . ولم يقبل رجاءه . وانزاع الامير اسماعيل على الامير يوسف حتى قيل انه قبل قدميه ولم يسمح له بذلك . . . خائباً وقد لعب به الخنق . فعمد على مقاومة الامير يوسف . وبعد رجوعه الى حاسب . رل الى عكا . ودفع لاهمدا باشا الجزائر ثلاثمائة الف عرش على حكم جبل الشرف . واتفق معه على ذلك الشيخ قاسم جنبلاط . فقبل الجزائر فحمت ان يكون معه واحد من امراء الجبل . فارسل الامير اسماعيل استدعى الامير سيد احمد اخا الامير يوسف وفي الحال حضر الى عكا في البحر . ودخل على الجزائر . فقبله واكرمه والبسها خلعة الولاية . ولكي يكون له وجه الى خلق الامير يوسف اراد ان يحمل له سيافاً . فارسل يطلب منه سلاح البلاد . مع علمه الاكيد ان الامير يوسف لا يقدر على ذلك . فاعتذر الامير يوسف ان ذلك لا يمكن . ولكنه يدفع اليه مئة وخمسين الف عرش يشتري بها سلاحاً . بحيث انه لا ينحرف خاطره عنه فلم يقبل الجزائر بذلك . واصر على طلب السلاح . واعلم الامير يوسف مناصب البلاد بطلب الجزائر . فانكروه . وعمدوا على عصاوته ومقاومته واستعدوا برأي واحد لقتاله . فانت الاعلام الى الامير يوسف بقدم الساكر عليه . فالتى النفير في البلاد . فاجتمعت اليه الرجال من كل جانب . وكان عسكر الجزائر قد حضر مع الامير اسماعيل والامير سيد احمد . فالتقوا في اراضي جبليج . وانتشب بينهم القتال . وجاهد عسكر الامير يوسف جهاداً عظيماً في تلك

(١) فحدث في ذلك (الزمان) ان رجلاً يهودياً يقال له آصلان كان يتردد الى حاصيا وقراما لاحل التجارة . وكان ذا ثروة وافرة . فقتله بعض غلمان الامير اسماعيل طمعا في ماله . وحين انه قتل باثارة من الامير المذكور . . . فواصلوا خبره الى الخزار . . . فكتب الجزائر الى الامير اسماعيل بان يرسل له قاتله وماله فتفاعد عن ذلك . . . فاصدر امراً الى الابير يوسف بان يستولي على مرجعون . وكان الامير يوسف كثير الخوف من الجزائر . ويجب الاكساب من اهل الجوار . (تاريخ الامير حيدر) .

المهمة فكانت انصافه . وقتل من عساكر جزار نحو مئة قتيل . وسهم من سلمه . ودخلوا الى القرية وحاصروا بها . وبلغ الجزار ذلك . فغضب على الأمير يوسف واهل الجبل . وامر بتنع اهل الجبل عن الدخول الى بيروت وحيدا . وحجب عنهم القوت الذي كانوا يترونه من المدن . وارسل عسكراً لحافظة بيروت . وامر باخذ سلاح النصارى الذين فيها . ودخل كل من خارج المدينة من اهلها الى داخل السور خوفاً من سطوة اهل الجبل . وكان قد نزل بعض انفار من الدروز الى ما حول المدينة . وصادفوا سبعة انفار من المسلمين فقتلهم . ووقع الرعب في قلوب اهالي بيروت . وامتدت اهالي الجبل . فاستأقت مواشي كثيرة من فواحي المدينة . وكان يحزن قمع في الحضر لاهالي بيروت . فخطبوه . واعتز الأمير يوسف بسطوة رجاله . واكرم وانعم . وصارت البزاد عصابة واحدة في يده . وفي غضون ذلك سمر احمد ناشا الجزار الى بيروت ومعه ثمر اربعة آلاف نفر . فخشيت الناس من حضوره . ورحلت اهالي ساحل البحر من مواطنها . واخذ الأمير اسماعيل والأمير سيد احمد في مراسلة مناصب البلاد واستألتهم اليها . قال اكثرهم . وكان الشيخ محمد القاضي قبل ذلك نازحاً الى حوران . فلما علم بقيام الأمير اسماعيل والأمير سيد احمد حضر الى عكا . وكان عمدة في البلاد . فاخذ يكاتب ويفند ويرغب الناس فاختلفت الاحزاب وظهرت الاغراض . ومال الاسر على الأمير يوسف . فاحتاج الى الرحيل وترح من دير القمر الى بكتنا . واقام هناك ينتظر ما يكون . واقبل الأمير اسماعيل والأمير سيد احمد الى الدير . وحضر اليها الشيخ عبد السلام العماد والشيخ كليب نكد والمشايع الجبلية واكثر مناصب البلاد . ولم ينبع الأمير يوسف سوى اثنين من بني عمه والبعض من بني تاحوق . ولما رأى الأمير يوسف فراغ يده من البلاد . وان الذين كان يتخذهم خاصة له قد خانوا عليه . قام من بكتنا وتوجه نحو بلاد جيل . وكان ذلك في آخر شهر حزيران . وسعى الأمير اسماعيل والأمير سيد احمد في طلبه . فتوجه الأمير اسماعيل نحو كسروان . والأمير سيد احمد نحو جيل ومعه عسكر من قبل الجزار . وكان الأمير حيدر اخو الأمير يوسف في جيل فترح منها . وكتب الجزار الى قلم طرابلس ان يلم حكم بلاد جيل الى الأمير سيد احمد . فلم يجبه . وبقي

الامير اسماعيل في بسكتنا والامير سيد احمد في جبيل . وكان الامير يوسف لما وصل الامير سيد احمد الى جبيل ، تقدم من هناك حتى وصل الى اقصى بلاد عكا . فاستقبله عثمان بك الشديد ومحمد بك الاسد . وقدموا له الذخائر والاكرام . ثم انتقل الى بلاد صافيتا . فاستقبله الشيخ سفر المحفوظ بكل اكرام . واتزله احسن منزل .

واجتمع الامير اسماعيل والامير سيد احمد في غزير وارسلوا المباشرة في جباية الاموال السلطانية من بلاد جبيل بنهر اذن والي طرابلس . وفرضا على كسروان ميتين وخمسين الف غرش . وجمعوا من البلاد اموالا كثيرة وضجت الناس من كثرة المظالم . وتواردت الشكايات عليها الى احمد باشا الجزار . وكتب محمد بك الاسد الى الامير يوسف ان اخضاه قد رجعوا عن طلبهم . فقام الامير يوسف ورجع الى جبيل . وكان ابنه الامير حسين مقيما في صليا . فطلبه اليه . وارسله الى بيروت يتراعى على الوزير في استعطاف خاطره . وارسل معه هدية يبلغ ثمنها خمسة وعشرين الف غرش . وكان صييا فعلته اصحابه كيف يتقدم الى الجزار . وماذا يقول . فقبله الجزار واتعم عليه بالرضى وامره ان يستدعي اياه لينعم عليه ويميده الى ولايته . وكان يضر ان يقبض عليه اذا حضر . وكان الامير يوسف قد حضر الى انطلياس . وتهدد للجزار بايراد الف الف غرش تحت الاعداء الى الحكم . ولكنه خشي من مواجهة الجزار . فابى عن الحضور اليه . واعتذر فلم يقبل الجزار عذره . وعلم انه خالف من لقائه . فضمن له التسلم ومخائيل الكروج ويونس نتولا وفارس الدهان وشجوه على الحضور . فحضر وزوجه الجزار . وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الاول . وفي ذلك اليوم عينه قبض عليه الجزار وعلى نائبه سعد الحوري . وسافر بها في البحر الى عكا . وكان ذلك هرا عظيما على الناس لما يعلمون من ظلم الامير اسماعيل والامير سيد احمد مع اشتغال قلبها بالامير يوسف قبلا : فكيف اذا خلت لها البلاد ؟ وبعد توجه الامير يوسف مع الوزير الى عكا ، نهض الامير اسماعيل والامير سيد احمد الى دير القمر . وانتشرت الحوادث في جميع البلاد على الاسراء والمشايع والرهبان والرعايا . واخذت الناس تتقاطر اليها تهنة بالحكم الجديد . وهم يدعون لها بالالسان وعليها بالقلب .

وما دامير يوسف دونه وصل مع الجزار الى عكدا . واقام في مصر شهر . فانعم عليه الجزار . والبه على حكمه الجليل ومرجعون وحاصيا وجيز معه عكرا وارسله الى البلاد . فخرج يضرب الارض ليلاً ونهاراً حتى وصل الى دير القصر . وكان وصوله في الليلة الثانية والعشرين من تشرين الاول . وعند دخوله قبض على الامير اسماعيل ووضعه في السجن . وضبط كل ما كان جمعه من الاموال . وهرب الامير سيد احمد فلم يظفر به . وكان عندهما الشيخ محمد القاضي . فهرب ايضا الى دار الشيخ كليب نكد . فارسل وقبض عليه . وابقاه في السجن مدة . وعذبه عذاباً اليماً . ثم قطع لسانه .

وفي سنة ١١٩٩ (١٧٨٤) كان احمد باشا الجزار قد جمع كثيراً من الاموال . فارضى خاطر الدولة . وطلب ولاية دمشق الشام . فاذنمت عليه بها . فتولاها . ووضع بها مقبلاً من قبله . واقام ايضاً في بعلبك مثلاً يقال له سليم آغا . وتزحت الاسراء بنو الحرفوش من تلك الديار . وعدل سليم آغا في حكمه . وعمرت البلاد في ايامه . لان بني الحرفوش كانوا اظلم الناس واشدهم جوراً . وفي تلك الايام كانت فارس الدهان نازحاً عن بيروت منذ عشر سنوات . فرجع اليها . وارسل دفع الى الجزار خدمة قيمتها اربعة آلاف غرش . وطلب تسليم ديوان بيروت . وكان الديوان منذ سنتين في يد يونس نقولا الجبيلي الذي كان يقال له ابو عسكر . فرفع الجزار يد يونس عن الديوان . ورسله الى فارس . وفي هذه السنة حدث طاعون في بيروت فامات كثيراً من الناس . وهرب اكثر النصارى الى الجبل . وكان منشأ هذا الطاعون من مصر . وكان قد فعل في مصر ما لم يفعله غيره من الاوبئة السابقة . وقيل انه مات بصر من الناس في هذا الطاعون ما يفوق عن ثلاثين كوة وبعيت اسواق بصر على حالها من الزحام^(١) .

(١) قال دفتيل كرامه : « وقد مار طاعون قوي زائد الوصف في مصر مات فيه ثلاثون كورة تحت الضبط وامتد الى غير جهات » .

واكد الامير حيدر ان الضحايا « كانوا خمسة آلاف كل يوم » .

على ان المتبر عاد فاصلح في تاريخه المطول (نسخة بكركي) فقال : ثلاثون ألفاً بدل ثلاثون كورة .

موت الشيخ سعد الغندور

وفي سنة ١٢٠٠ (١٧٨٥) . قد ذكرنا ان الامير يوسف انعم عليه الجزار بالولاية . وكان قد ابقى عنده الشيخ سعد الحوري رهناً على المال الذي تعهد الامير يوسف به . ولما توجه الجزار الى دمشق لاجل تمشية الحج ، اخذه معه . وابقاه هناك تحت الترسيم . فاستحوذ عليه مرض الاستسقاء . ولما رأى نفسه قد وقع في الخطر طلب الانصراف . وارسل الى ابنه الشيخ غندور ان يضمن المال عنه للجزار عن يد قنصل عكا وقنصل صيدا . وكتب اليها بذلك . فقبلا ان يضمنه تحت رهن يكون عندهما . فارسل اليها الشيخ غندور ما يقوم بذلك من السلحة وحلى وغير ذلك . واطلق الجزار الشيخ سعد بضمان القناصل . ولقاه كثير من اهل البلاد الى الطريق . وصار تقدمه فرح عظيم في البلاد لانه كان يسمى دائماً في خير الجمهور . وكان محباً للجميع . وبعد وصوله بابام ترفي وكان ذلك في خامس عشر شهر آذار في مدينة جبيل . وكان قبل وفاته تسلم مكانه عند الامير يوسف ولده الشيخ غندور ، كما مر . وزاد على ذلك من اخذ قنصلية بيروت من الدولة الفرنسية وصار له مقام عظيم في جميع هذه الاطراف .

وفي هذه السنة قبض احمد باشا الجزار على ابي عسكر يونس نقولا في بيروت . واخذ منه خمسين الف غرش من غير ذنب ولا سبب .

وفي سنة ٢٠١ - (١٧٨٦) قبض الجزار على فارس الدهان ايضاً . وكان قد سلمه ديوان بيروت كما مر . وطلب منه مئة وخمسين الف غرش . وقبض معه على اخيه منصور وابن اخيه ميخائيل . وبعد الشفاعات الكثيرة ترك له خمسين الف غرش واخذ منه مئة الف . وقبض ايضاً على يوسف بارد واخذ منه سبعة آلاف وخمسة غرش . وذلك لانه كان ملتصقاً بفارس الدهان .

وقبض على ميخائيل السكروج في عكا . وكان متسلماً ديوانه . وطلب منه مائلاً جزيل المقدار . وذلك لانه كان قد وقع في يده كتاب باسم ميخائيل المذكور يدل على وديعة له عند احد اصدقائه وشركة في تجارة . فطلب منه ان يقرضه شيئاً من المال . فاعتذر وحلف برأس الجزار انه لا يملك مائلاً فاراه

دك الكتاب و امر اخيه

وفي هذه السنة انجد للامير يوسف ولد وسماه الامير سليم .

وفيهما كان الامير يوسف لم يزل يترقب الفرصة على اخيه الامير سيد احمد الذي هرب حينما قبض الامير يوسف على الامير اسماعيل . وكان الامير سيد احمد قد اخذ في الوسائل والوسائط . حتى عفا عنه اخوه ورجع الى البلاد واقام في الجرد . ولكنه لم يزل على حذر من القدر . حتى طالت الايام ورأى ان اخاه قد غفل عنه . فخرج الى الرمثانية يخطاها بها . وهناك ارسل الامير يوسف قبض عليه وقلع عينيه .

واما الامير اسماعيل فكث في سجن الامير يوسف شهراً وتوفي به . فكتم الامير يوسف وفاته خوفاً من الجزار الى ان طال المطال وتنامى الامر . وفي هذه السنة حدث في تشرين الثاني مطر عظيم . فهدم ابنية كثيرة . واخذ غراساً ومواشي لا تحصى واثنى عشر نفراً من الناس .

وفيهما حضر الى صيدا قنصل من قبل الدولة المملوكية وقنصل من قبل الدولة النصاروية وكان مرادهما الاقامة في دمشق الشام . ونفى خبرهما الى دمشق . فأرسلت اعيان البلد تقول لهما : ان دمشق هي باب الكعبة . لا يقبلون فيها قناصل . فرجع كل واحد منهما الى حيث اتى .



الطيب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني

لرب طرس ساره اللبناني

نحت هذا العنوان وصمت في مجلة « الشرق » المراء (١٩٢٢=٢٠)
ص ٨٥٢-٨٦٢ مقالاً في ترجمة السيد الذكر الاب مبارك سلامه احد
ابناء رهبانية اللبنانية ومن رحالها الافداذ . اقتصرت بذلك على ام
ادوار حياته المليئة باجل الفضائل والاعمال المظلمة دون ان اتوسع
بابرز ناحية من نواحي تلك الحياة ، هي الناحية التربوية الخاصة .

لذلك ولمناسبة التذكار السنوي الخامس والسبعين الذي احتفل به في الخامس
والعشرين من شهر شباط الماضي ، هذه السنة ١٩٥٦ ، المعهد اللاهوتي الشرقي
في جامعة القديس يوسف في بيروت ، لمرور ٧٥ سنة على اللقب والامتياز الذي
انعم به البابا لاون الثالث عشر على هذا المعهد ، اذ منحه امتياز جامعة حبرية
(Université Pontificale) ، فخوله الحق بان يعطي شهادة الدكتوراه (الملقنة) في
الفلسفة واللاهوت . وبما ان الاب مبارك سلامه اللبناني المترجم هو بكر الذين
حصلوا على هذه الشهادة في المعهد المذكور ، وذلك بدعوة خاصة من اساتذته
الافاضل الذين رأوا فيه كل الكفاءة لمثل هذه الشهادة اذ جاز الامتحان
الكثافي والشغوي عنها بكل نجاح . لذلك رأيت ان ابين بقالي هذا انه كان
ذلك التاجر الحكيم النشط الذي ما اتخذ الوزنة حتى اندفع بكل قواه الى
التجارة بها فربح وزنات عدة . فاقدم بغيره لا تعرف الملل ولا تقف بوجهها
صعوبة ، على الاعمال المحيدة في جنب النش الرهباني ينشئ تنشئة صحيحة مرتكزة
على العلم والفضيلة . واول ما وجه اليه العناية والاهتمام ، هو توحيد الابتداء
وتنظيم المدرسة واتقان الدروس ؛ لان ذلك حجر الزاوية في ثقافة الشبيبة
الرهبانية التي عليها امل المستقبل . فننظر نظرة اولى في الابتداء ، ما هو وكيف
كان في الرهبانية .

الابتداء

هو المرحلة او الخطوة الاولى للدخول في الرهبانية . قد فرضت القوانين
واقترع الشرع الكنسي تمجيداً للدعوة المقدسة . وهو طريقة اختبار او بوتقة

التجربة بها يُصَبِّحُ لِمُسْتَدَى وَيَخْصُ كَمَا يَدْعِبُ وَيَمُحِصُ لِمَنْ يَخْرُجُ ذَهَبًا نَقِيًّا
وسراجاً رَهْأًا فِي بَيْتِ الرَّبِّ صَالِحًا لِأَنْ يَسِيرَ فِي طَرِيقِ كَهَالِ الْإِنْجِيلِيِّ وَرَأَى
السَّيِّدَ الْمَسِيحَ إِلَى جَبَلِ الْجَلِيلَةِ ، جَبَلِ التَّضْعَةِ ، مَقْدَمًا ذَاتَهُ بِكَلِمَتِهِ ، أَرَادَتْهُ
وَجَدَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ . لَهُ عَلَى مَذْبَحِ الْمَحَبَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، بِمَحْفَظَةِ الْمَشُورَاتِ الْإِنْجِيلِيَّةِ :
الطَّاعَةِ وَالْعَفَةِ وَالْفَقْرِ الْإِخْتِيَارِيِّ ، يَتِمَرَسُ بِهَا مُنْصَبًّا فِي الْأَعْمَالِ الرُّوحِيَّةِ ، مُبَاشَرًا
الْحَدْمَ وَالْإِشْغَالَ الْيَدَوِيَّةَ . وَمُدَّةُ الْإِبْتِدَاءِ لَا تَكُونُ أَقَلَّ مِنْ سَنَةٍ كَامِلَةٍ تَامَةٍ
وَهِيَ السَّنَةُ الْقَانُونِيَّةُ تَخْصُصُ لِدَرَسِ الْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ وَلِلْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ الرُّوحِيَّةِ
فَقَطْ . وَفِي الْمُنَظَّمَاتِ الرَّهْبَانِيَّةِ تَمْتَدُّ هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ بِحَسَبِ الرُّسُومِ ، إِلَى سِتِّينَ ، وَفِي
الْحَالَةِ « التَّوْحِيدِيَّةِ » إِلَى ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ .

وَمِنْذَ تَأْسِيسِ الرَّهْبَانِيَّةِ فِي لُبْنَانَ فِي أَوَاخِرِ الْجِيلِ السَّابِعِ عَشَرَ (١٦٩٥) ،
كَانَتْ تَفْتَحُ الرَّهْبَنَةُ أَدْيَارَهَا لَطُلَّابِ التَّهَرُّبِ ، بِمَحِثٍ كَانَ الْإِبْتِدَاءُ فِي كُلِّ دِيرٍ
مِنْهَا وَكَانَتْ الْقَوَانِينُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي اثْبَتَهَا بِعَرَاةٍ رُسُولِيَّةٍ (١٧٣٢) الْبَابَا أَكْلِيمَنْدُوسُ
الثَّانِي عَشَرَ ، تَسْمَحُ لِكُلِّ رَئِيسِ دِيرٍ يَقْبُولُ الْمُبْتَدئينَ وَتُسَمَّى الرَّئِيسُ بِاللُّغَةِ
اللاتينية (Abbas) أَيْ « أَبَا » أَوْ « أَبَاتِي » وَمِنْ هُنَا تَوْحَمُ بَعْضُهُمْ ، عَلَى مَا
يُظْهَرُ ، أَنَّ رَهْبَانِيَّتَنَا « رَهْبَانِيَّةٌ تَوْحِيدِيَّةٌ » (monastique) لِأَنَّ الْقَوَانِينَ تَوْجِبُ
إِقَامَةَ الْحُورَسِ أَيْ الصَّلَوَاتِ الْفَرَضِيَّةِ بِأَوْقَاتِهَا وَالتَّأَمُّلِ الْيَوْمِيِّ وَمِمَّا يَشْغُلُ
الْيَدَوِيَّةَ دَاخِلَ الدَّيْرِ وَخَارِجَهُ ، وَتَفَرِّضُ الْمَحَافِظَةَ عَلَى الْحَصَنِ كَمَا يَجْرِي فِي أَدْيَارِ
الرَّهْبَانِ « التَّوْحِيدِيِّينَ » . لَقَدْ تَمَثَّى الْمُؤَسَّسُونَ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مُؤَثِّرِينَ حَيَاةَ
النَّسَبِ وَالْعَزَلَةَ عَلَى سَوَاهَا اقْتِدَاءً بِكُوكِبِ الْبَرِيَّةِ وَابِ الرَّهْبَانِ الْقَدِيسِ
أَنْطُونِيُوسِ الْكَبِيرِ الَّذِي جَعَلُوا الرَّهْبَانِيَّةَ تَحْتَ حِمَايَتِهِ وَانْتَسَبُوا إِلَيْهِ تَبْنَاءً بِاسْمِهِ
إِذْ عَرَفُوا بِرَهْبَانِ الْقَدِيسِ أَنْطُونِيُوسِ . غَيْرَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا لِلرَّهْبَانِيَّةِ رَئِيسًا عَامًّا
وَبِمَجْلِسِ مَدِيرِينَ يُوَازِرُونَ الرَّئِيسَ الْعَامَّ فِي إِدَارَةِ الرَّهْبَانِيَّةِ ، وَلِلرَّئِيسِ الْعَامِّ السَّلْطَةَ
عَلَى جَمِيعِ الرَّهْبَانِ وَالْأَدْيَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِبَعْضِهَا بَعْضًا تَتَّعَدَّ فِي سَبِيلِ
الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ، وَتَتَعَلَّقُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْأَدْيَارِ بِسُلْطَةِ مَوْحِدَةٍ هِيَ سُلْطَةُ الرَّئِيسِ
الْعَامِّ ؛ بِمَحِثٍ لَا يَكُونُ رَئِيسُ الدَّيْرِ مُسْتَقَلًّا كَمَا هِيَ الْحَالَةُ فِي رَهْبَانِيَّةِ « تَوْحِيدِيَّةِ » .
وَلِذَلِكَ كَانَتْ الرَّهْبَانِيَّةُ تُعْتَبَرُ « مَوْحِدَةً رَهْبَانِيَّةً » أَكْثَرَ مِنْهَا « تَوْحِيدِيَّةً » .

وَعَلَى هَذِهِ الْحُطَّةِ تَمُتُّ الرَّهْبَانِيَّةُ مِنْذَ نَشْأَتِهَا حَتَّى الْآنَ أَيْ مِنْذَ جَبَايِنَ

ونصف الجيل بنيف . (١٦٩٥-١٩٥٦) . وكانت وما زالت بعد تثبيت قانونها (١٧٣٢) كما مر ، مشمولة بنظر الكرسي الرسولي ورعايته ونظر الاجبار الاعظمين الاممي ؛ يدونها بالمساعدات الروحية والمادية وينعمون عليها بالتقارير الكثيرة والامتيازات كغيرها من الرهبانيات الكبرى في الكنيسة المقدسة . ويوجهون اليها الزيارات الرسولية عند الاقتضاء . دليلاً على رعايتهم وعنايتهم الابوية السامية .

وفي هذه السنة (١٩٥٦) بعد ان امر المجمع المقدس الشرقي باجراء استفتاء عام في جميع الرهبانيات الشرقية لاختيار احدي الحالتين اي « التوحيدية » او « المنظمة الرهبانية » ووقف على غرائض الالتماس المتضمنة نتيجة ما اختاره الرهبان ، اعلن المجمع المقدس نفسه : ان رهبنتنا اللبنانية هي « منظمة رهبانية » لا « توحيدية » كما اجمع عليه رهبانها . واطهر اعلانه هذا برسوم كريم مؤرخ ١٩ كانون الاول الماضي ١٩٥٥ تحت رقم ٥٦٦/٥٣ . وجهه الى حضرة الرئيس العام الانباقي موسى عازار ؛ اليك ترجمته بنصه الحرفي :

اجا الاب الجزيل الاحترام .

اقشرف بان اعلن حضرتكم ان المجمع المقدس الشرقي ، بعد الفحص والتدوي وبعد ان اعلن سابقاً ما يجب اعلانه في مثل هذه الظروف ، بواسطة « الزيارة الرسولية واختيار الحالة الرهبانية » ، قرر قبول التماس ابناء رهبانتكم الذين ارادوا ان ينتسبوا الى رهبانية (لا توحيدية) ، بعد اول من الارادة الرسولية (Postquam Apostolicis) التي اصدها قداسة الخبر الاعظم المالك سيداً .

فبناء على ذلك وبفوة هذه الاسطر ، يعلن المجمع المقدس ان رهبانتكم هي « رهبانية لا توحيدية » كما تقدم القول ، مع جميع الالتزامات والامتيازات المنوطة بهذه الحالة القانونية ؛ سواء اكان ذلك بالنظر الى المجموع ام الى الافراد . ويكون هذا القرار ساري المفعول ابتداء من السابع عشر من كانون الثاني (١) السنة ١٩٥٦ .

وعلى هذا اكرر لابونكم عواطف احترامي .

الداعي المخلص لابوتكم

١. كوسا ساون + الكريدتال تيران

(١) الواقع فيه عبد القديس انطونيوس الكبير وفيه تجدد النذور الرهبانية كل سنة .

قدس - راسد - م بكني شديداً في دير واحد من مار ماسوحه
في كل دير من اديار الرهبنة ، دلت تسيلاً عازب لقره وانه مدد لرهبان
اد كانت احاجه اليهم ماسه في داخل الاديار وفي الخارج . وكان قد اعلت
باب الابتداء في الرهبنة مدة سنوات الحروف قاهرة . فلما تسلمه الرئاسة العامة
المغفور له الاب مرتينوس سابا النطاوي في السنة (١٨٧٥ - ١٨٩٠) امر الجميع
الشرقي المقدس بتوحيد الابتداء وتعيين دير له . فتعين دير مار جرجس الناعمه
قرب الدامور . وعين الاب مبارك المترجم (١٨٨٤) معلماً للبتدئين ، وكان ذلك
عائمه ما نشأه ، اذ تمكن من ان يبدأ بعمله التربوي الذي جعله هدفاً له طيلة حياته
الرهبانية . واضطر في بادئ الامر ، الى قبول المبتدئين في دير سيده طاميش
مدة الى ان اصبح دير مار جرجس الناعمه المذكور ، مجيزاً ومعداً لقبولهم . فأتى
يهم اليه وكان يرعاهم بعين يغطي وعيره لا تعرف الملل ، يشربهم روحه الطيبة
ويرشدهم بالقول والمثل . واستمر على هذه الحطة نحو ثلاث سنين ، تخرج فيها
على يده عدد غير قليل من الرهبان الناذرين الذين كانوا يثقون به كل الثقة ،
لما كان يفرهم به من عناية ابوية ويبدله من المفاداة في سبيل رقيهم روحياً
وادبياً . ولما رأى ان فئة منهم معدة لتلقي العام ، سأل الرئيس العام الاب
مرتينوس سابا ، ان يسح له بان يكون استاذاً وراعياً لهم ؟ فلم يوافق على
ذلك لبعض صعوبات . فاخذ الاب مبارك على عاتقه تسهيل تلك الصعوبات وصعد
بالاخوة الناذرين الى دير مار موسى الحبشي قرب بعبسات ، حيث تولى بذاته
تدريسهم اللغات العربية والافونسية وبعض مبادئ اللاتينية . ومع مهة التدريس
هذه الشاقة والاهتمام بالرهبان الدارسين الموكول ابرهم اليه ، كان يتعاطى الـ ١٤١
الرسالة لدى الاقتضا ، في القرى المجاورة .

المدرسة الرهبانية في تطورها

قبل الخوض في البحث عما اتاه رحمه الله ، من الاعمال والجهود الجبارة في
سبيل النهضة العلمية في الرهبنة لدن تسلمه رئاستها العامة ، يحسن بنا ان نرى ، اكلت
عليه المدرسة الرهبانية في ذلك العهد . ولا يتناول كلامنا هنا المدارس الابتدائية
التي اعتادت الرهبنة منذ نشأتها ، ان تقيمها قرب كل دير انشأته او تسلمته^(١) ،

لأجل تعليم الاحداث مبادئ اللغتين العربية والسريانية والتعليم المسيحي وبعض القواعد الحسابية ، مما كان كافياً لحاجة الانسان وقيام معاشه في تلك الايام . وبهذه الطريقة كانت تمر القرية اللبنانية بالايدي الماملة على حث الارض وزراعتها ومزاولة بعض المهن والصناعات بحيث كان لبنان راتماً بالطمانينة والامن ؛ يعيش شبيه بروح الاخاء وحسن الجوار ، عاكفاً على العمل ، بعيداً عن السياسات الحرقاء ، قانماً بعيش بسيط هنيئ . فصيح فيه المثل القائل : « فلاح مكفي امير مخفي » كما قيل : « هنثاً لمن له مرقد عترة في لبنان » . وفي تلك المدارس على بساطتها وتلقيها « بدرجة تحت السدياته » ، قد نشأ رجال انذاذ قاموا باجل الخدم في جنب الدين والدنيا . وقد اتينا على ذلك بمقال في « المشرق » الاغر (٣٠ : ٣٢٠) تحت هذا العنوان : « الرهبانية والعلم » .

على ان الرهبنة ، رغم الصعوبات الكثيرة ، لم تكن تتعجم عن ان تجاري التيار المصري من الناحية العلمية . فانها ، مع محافظتها على مدارسها الابتدائية ، قد حوت اهم اديارها كدير مشوشة وميفوق وبيت شباب وعشاش ، الى معاهد تضاهي المعاهد الكبرى في البلاد وتضم الناشئة على اختلاف الطبقات والطوائف ، وتشربها روح الاخوة والوطنية الحققة وتغذيها مواد العلم الصحيح المرتكز على مبادئ الدين والاداب السليمة ، ليكون منها رجال اشياء امنا . في حق ربهم ووطنهم .

لقد مر بنا الكلام على ان الابتداء لم يكن محصوراً في دير واحد ، كذلك المدرسة الرهبانية لم تكن موحدة في اول عهدها ، بل كان لكل دير من الاديار الجامعة يضم عدداً من الاخوة الدارسين يتلقون السريانية والعربية ومبادئ الحساب البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة ثم اللاهوت ، الاذني وبعض قضايا في اللاهوت النظري . وكان ذلك يبدو كافياً في تلك العصور لان ثقافة البلاد لم تكن تتجاوز هذا الحد من المعارف . وكان الرهبان يزلفون الفئة الراقية بين مواطنيهم ، ويقومون بهمة التدريس والتنشيف شأن الرهبان القريين في القرون الوسطى ، وفي القرون التي سبقت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ . على انه لما احتك الشرق بالغرب فكانت البعثات العلمية اليه ، وقدم المرسلون القريبون اليها واخذ لبنان بالثقافة الغربية ولا سيما الفرنسية ، اضطرت

رهبانية الى رتبة مستوى مدته - - - - -
 ارسال فئة من اديانها الى مدرسة الاءا. يوسيين في عريز في عهد لاءا. ارب
 سانا العاقوري العامة ١٨٤٥ - ١٨٤٦ والاسوين افرام جمع (١٨٦٢ - ١٨٧١)
 ومرتنيوس سانا العطاوي (١٨٧٥ - ١٨٩٠). ومن ذلك الحين انقسمت المدرسة
 الرهبانية قسمين :

اولاً : اءدسة في اءبار اءهابة

ءقرر دير مار ءبريانوس ءفيغان اول مءدسة رهبانية نظامية على طراز
 تلك الايام سنة ١٨٠٨ برئاسة الاب سمان الءازن العامة (١٨٠٥ - ١٨٠٨) وءان
 الءارسون، مع مءارسةهم جميع فروضهم الءينية وءلواتهم الطءسية ومباشرتهم
 الاشغال الءيدوية في داخل الءير وخارءه، يتءنون الءئين العربية والسريانية وعلم
 اللاهوت الءلني بءعض القضايا الهامة من اللاهوت النظرني. ومن اساءة هذه
 المءدسة الاءا. نءمة الله ءساب الءرءيني " بءء ان ءءرء فيها ءلماً المءروف
 بءءيس ءفيغان، ونءمة الله الءءوم الءفءري، وءايل ءوش الءوري. .

وءء ءءرء في هذه المءدسة من سنة ١٨٠٨ - ١٨٧٤ ءءو من مءين وءئين
 ءاهناً منهم الاءا. : نءمة الله ءساب الءرءيني الشهير والاب شربل ءءلوف
 بقاء ءفءرا المءروف بءءيس عنايا الءي ءءلمء لا ءفءري وشهء ءفن الءرءيني اء
 ءان ءارساً. واءناطيرس بلبيل الءي رئس الرهبانية مءة ٢١ سنة (من سنة
 ١٨١١ - ١٨٣٢) وائطونيوس الءفالي الءي اءناز باللفة العربية وائف فيها ارجوزة
 ما زالت ءطأ. وءراً مطبوعاً لاوزان الشر ومعجماً باللفة الءارءة. ءم ءتاب
 الزيادة لراءة الائنس المءهرية - وءء ءءء طبعه هذه السنة (١٩٥٦) ءضرة
 الاء المءءرم بطرس ساره - ومنهم الاء بطرس البءءرفلي الاء الءي ءلب. ءءبة
 الاءا. الءءيين (بائرولوجي) باءزاها الءاملة (Patrologie Migne) وهي لا ءزال
 باءية في الءير، وياواصف الءااءي، وائطونيوس ءنا المشءاني وءاهم، من
 ءءلبوا باهم الوظائف الرهبانية.

ءم انءقلت المءدسة من دير ءفيغان سنة ١٨٧٤ - ١٨٩١ برئاسة الاء



الطبيب الأثر

الأب مازن شفيق الزاهد السامي (١٨٥٢-١٩٢٢)

وسمه حسن دشا قصور مدينة عكا . رجع من اسير الى بيروت .
 دامير يوسف وسو عمه قد رجعوا منها الى حسن . ف رسل الى الامير يوسف
 يطلب منه الاموال السلطانية المكسورة عن ست سنوات . من حين ما
 تولى الشيخ ظاهر العمر على صيدا . فاجاب الامير يوسف انه في هذه السنين
 صرف اموالا كثيرة على الماكر في قتال الشيخ ظاهر والمساولة . وانه دفع
 الى عثمان باشا واولاده بقية الاموال المكسورة . وزور وصولات في ذلك وارسلها
 اليه مع كتابات لطيفة وهدايا فاخرة . وسأله ان يكف احمد باشا الجزائر عن
 التمدي عليه . فصار ذلك مقبولا عند حسن باشا . وارسل الى الامير يوسف
 كتاب الرضى والامان وطلب منه ان يرسل اليه مئة الف قرش فقط ، لكي
 يرسل اليه وصل الخلاص ، ويقرره على ولايته . فجز له الامير يوسف المطلوب
 وارسله اليه . فسلمه وارسل اليه التقرير على حكم بلاد الشوف والبقاع
 وبيروت وجبل . وان لا يكون لاحد باشا الجزائر سلطة عليه الا في ايراد
 الاموال السلطانية لا غير . ثم توجه حسن باشا راجعا الى عكا . وفي وصوله
 امر بقتل احمد آغا الدنكرلي متبها اياه بعدم المحافظة . وكان ذلك وفاء عن
 سعيه المذكور في نوبة الشيخ ظاهر العمر . وكان احمد باشا الجزائر قد ابتدأ
 يعين الماكر عنده . فحضر اليه نحو ستنة خيال قبيل ، فاستخدمهم . واقاموا
 عنده . وكان بعد رجوع حسن باشا قبطان من بيروت ، ارسل ضبط مداخيلها .
 وارسل الى الامير يوسف يطلب منه المال السلطاني عن تلك السنة . وارسل
 خيال القبيل الى بيروت . ولما بلغ الامير يوسف من عكا الجزائر من

(١) ثم رفع حسن باشا رأيه قليلا والتفت الى الدنكرلي وقال له : من اي بلاد من
 العرب انت ؟ - قال له من ناهرت . - فقال له : وما كانت صنيتك هناك ؟ قال له :
 كنت حطابا غنمي . - قال له حسن باشا : وكم سنة صار لك في خدمة ظاهر ؟ اجابه :
 ما يزيد عن اربعين سنة . - قال له الباشا كم كان دخلك منه ؟ - اجاب الدنكرلي : كان
 دخلي في اول سني خدمتي عنده قليلا . ولكن لم يكن يقل عن مئتي كبس في ولائعي . . .
 فقال له حسن باشا : فأكل خبز انسان اربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتغضب . ينك
 بدمه ! ينقم الله مني اذا كنت لا انتم منكم لظاهر . - ثم امر من كان في حضرته من
 ملازميه فاخذوا الدنكرلي فخنقوه ودموه في البحر . فكان هذا ايسر جزاء خيائته
 اولاه . (تاريخ ظاهر العمر) .

مرتيزوس سابا القسطنطاوي العامة ، الى بعض الاديار كالقطارة وميفوق وقرطبا ومار موسى الدوار والناعم . ثم عادت الى كفيغان سنة ١٨٩١-١٨٩٩ برئاسة الابوين مبارك سلامة المتيني ومرتيزوس الدرعوني العامة ، وكان اول رئيس للمدرسة في هذه الحقبة الاب اسطفان صقر النتاعلي من خريجي جامعة القديس يوسف وكان يدرس فيها اللغتين العربية والفرنسية . ثم خلفه الاب متى نادر كفرزبنا ثم الاب الياس المششاني ، ثم الاب ليلاس داغر النوري كلاهما من خريجي الجامعة المذكورة . ثم الاب نعمة الله الكفري - وكانت مواد التدريس العربية والفرنسية والسريانية وبعض مبادئ اللاتينية نذكر من تلاميذها الآباء مبارك ثابت الديواني وابراهيم حروفش البكاسيتي ويوسف حبيقة البكنتاوي وبطرس ساره البتروني وجبرائيل بحلي السرعلي .

وفي السنة ١٨٩٩ تحول دير كفيغان الى دير الابتداء ، بامر المثلث الرحمت السيد بطريوك الياس الحويك الذي كان زائراً على الرهبانية ، فانتقلت المدرسة الى دير سيدة النصر - نسيه غوسطا وتولى ادارتها الاب اسطفان صقر ، ثم بعد مدة ، الاب مبارك سلامة المترجم .

وفي اوائل الحرب الكونية الاولى في خريف السنة ١٩١٤ ، انتقلت المدرسة الى دير سيدة المعونات - جيل . وانضم اليها الاخوة الدارسون التابعون صفوف جامعة القديس يوسف في بيروت والمقيمون في ديرهم مار انطونيوس القريب من الجامعة ، وترك هذا الدير متراً لحضرة الآباء اليسوعيين الذين اخرجتهم الدولة العثمانية قهراً من جامعتهم واحتلتها الدولة كل مدة الحرب (١٩١٤-١٩١٨) . وفي اثناء الحرب (١٩١٧-١٩١٩) ، انتقلت المدرسة الى دير مار سركيس وباخوس - قرطبا . وكان مديرها واستاذها الاب نعمة الله ابي ناضر البكنتاوي احد خريجي جامعة القديس يوسف ومن اساتذتها .

ولما وضعت الحرب اوزارها ١٩١٩ عادت المدرسة الى دير سيدة المعونات واستمرت فيه حتى السنة ١٩٤٤ ومنها ، لبعض ظروف كانت تنقل بين هذا الدير (سيدة المعونات) وديري سيدة نسيه وسيدة ميفوق (١٩١٧-١٩٤٩) . وفي هذه الحقبة (١٩٤٩-١٩٤٩) اي مدة ٣٥ سنة قد تخرج فيها من الآباء من لا يقل عددهم عن المئتين والمشرين كاهناً ، يقوم اكثرهم بالادارة الداخلية في

الاديار وخدمة الرعايا في الادير وسراكر رعابية او في الحارج ، ومنهم من يتعاطى اعمال الرسالة .

وكانت الرهبانية تعكّر في توحيد مدرستها هذه والتفتت من المجمع المقدس للكنيسة الشرقية ، الاجازة بذلك فتأثر الى قبول الطاب . وتمكنت الرهبانية ، برئاسة حضرة الادي يوحنا العنداري العامة (١٩١٤ - ١٩٥٠) من الاقدام على وضع الحجر الاساسي وانشاء معهد الروح القدس في محلة الكلبك - صربا - جونييه . وذلك على هندسة عصرية فخمة ، مستوفاة الشروط الصحية ، وضع تصميمها المهندس الشهير انطوان ثابت . وقد كلف هذا المعهد نفقات باعطة قامت بها الرهبانية بجميع اديارها وسراكرها . ولا بد لها من نذل البالغ الطائلة لاتمام مشروعها هذا وفقاً للتصميم الهندسي الموضوع له ، اذ يلزمه تشييد الكنيسة وبناء الطابق العلوي الاخير ، وتجهيد ساحاته وتنظيم دوره الى غير ذلك من لوازم الهندسة .

وفي ابتداء السنة المدرسية ١٩٥٠ بطلع رئاسة الاباتي موسى عازار العامة فتح المعهد المذكور ابوابه . وهو يضم الآن بجناحين منفصلين فئة الرهبان الدارسين الذين لا ينقص عددهم عن الثمانين دارساً . ثم فئة الاولاد طلبة الترحب البالغ عددهم مئة طالب . يتلقن جميعهم مواد الدروس الابتدائية والثانوية حتى البكالوريا . ويدأبون في درس العلوم الفلسفية واللاهوتية بفرغها . وعلى هذا استقرت اذ ذاك المدرسة الرهبانية موحدة في هذا المعهد الى ما شاء الله . وفي شهر ايار من السنة ١٩٥٥ الماضية ، قدم مئة من تلاميذه الذين انهوا دروسهم الفلسفية واللاهوتية وحصلوا في فحوصهم على الشهادة وهم الابرار : بولس مسعد وشربل القيس وبطرس شلفون وفرنيس الحازن وكيل القري . وقد أسندت اليهم الرهبانية ادارة بعض مدارسها المختصة للنشر اللبناني .

ثانياً : المدرسة الرهبانية في الحارج

بعد ان انتهينا كلامنا عن المدرسة في داخل الاديار ، نأتي على ذكرها في الحارج لما له علاقة بموضوعنا هذا . في السنة ١٧٢٤ وهب المجمع المقدس دهبنتنا اللبنانية دير مار بطرس ومرشيلينوس في رومية ، الذي انشأه البابا اكليندوس

ذلك انهم كانوا داخلين لا يتسهل لهم اتقاء واجباتهم الرهبانية كما ينبغي ، فضلاً عن النفقات الكثيرة التي كانت تبدل في سبيلهم .

وبينا هو يفكر في الطرق والوسائل سد هذه الثغرة ، وقلبه يتأفف عيرة على الناشئة الرهبانية وترقيتها الصحيحة بالعلم الكامل والفضيلة الراسخة ، اذا بالصاية الالهية التي جاءت به الى الرهبنة ووفقتة في دروسه ، قواصل الاخذ بيده وتسير به الى الهدف السامي الذي يرمي اليه ، فاتحة امامه مجال العمل واسعاً .
ففي الخامس عشر من شهر نيسان من السنة ١٨٩١ ، اصدر المحمق المقدس الشرقي امراً بتعيينه رئيساً عاماً على الرهبانية ؛ وهو لم يكن يفكر في هذه المباغطة وكانت الوظيفة في نظره خدمة للمصلحة العامة . موقناً ان تلك هي ارادة الله فاستسلم لها بكل ما اوتيته من قوة ورغبة في العمل ، مستنداً اليها في الاطلاع بما يلقي على عاتقه من مسؤوليات خطيرة . واخذ يفكر في انشاء مدرسة في مدينة بيروت ، تكون تبعة لكلية القديس يوسف اليسوعية . يقيم فيها الرهبان الدارسون ويتابعون الصفوف في الكلية نفسها . وكان يشجع على وضع فكرته هذه بالفعل المرحوم الاب جبرائيل اده اليسوعي الذي كان وقتئذ رئيساً لكلية القديس يوسف . فاشترى داراً مجاورة للكلية المذكورة ، هي دار السيد الياس مياوش الماروني . يبلغ الف ليرة فرنسارية ذهباً ، لاجل سكن الرهبان الدارسين واتفق وحضرة الآباء اليسوعيين على قبول عدد غير محدود من الرهبان لمتابعة دروسهم على ما ذكرناه ، بحيث يتسنى لهم اقامة نظامهم الرهباني وبعض صلواتهم الفرضية في مدرستهم حيث يقيمون . اما اعاشتهم ففرض الرئيس العام نفقاتها على خزينة الرئاسة العامة وعلى مساعدات من صناديق الاديوار . ومنذ ذلك الحين اصبح هذا الترتيب سنة تسير عليها الرهبانية حتى ايامنا لاجل القيام بمعايش النشء الرهباني .

وفي خريف السنة ١٨٩٢ فتحت المدرسة الجديدة ابوابها لقبول عدد من الاخوة الدارسين ، منهم الاب انطونيوس عارج (المدير فيما بعد) والاب اجناديوس سركيس الذي رئس الرهبانية مميئاً من الكرسي الرسولي (١٩١٠ - ١٩١٣) . والاب مبارك ابو سليمان (المدير) وغيرهم . وانضم اليهم الاخوة الذين كانوا سابقاً داخلين في الجامعة اليسوعية . واقام الرئيس العام رئيساً عليهم الاب

مدير اغناطيوس حوس حمل شهرة سعة مسموعة ونشرت من معهد اللاهوتي نفسه . وبعد مدة وكل الرئاسة في الازب اقليجوس سلامه ، ثم اى الازب بحيل حليفه راشما . وكان الرئيس العام نفسه يشرف على هؤلاء الرؤسا . عن قرب . واخيراً (١٨٩٣) اقام رئيساً شرعياً على المدرسة الازب اغناطيوس داغر التنوري الذي صار فيما بعد رئيساً عاماً (١٩١٣ - ١٩٢٩) على الرهبانية واشتهر بتقواه وغيرته ونجوده عن حطام الدنيا .

وشرعت المدرسة تسير على محورها القانوني بتوالي الرؤسا . عليها ومنهم كاتب هذه الاسطر (١٩١٩-١٩٢٩) الذي له الحظ بان يكون احد المتخرجين فيها . وقد استمرت على خطتها هذه نصف جيل ونيف (١٨٩٢-١٩٥٠) . اخرجت ، ما عدا الذين لم يتمكنوا من متابعة دروسهم حتى النهاية ، وهم كثيرون ، جيلاً من الآباء . الذين اتقوا دروسهم وكانوا من المجتهدين الناجحين . ومنهم من فازوا بشهادة الدكتوراه فخص منهم بالذكر المرحومين الابوين مرتينوس طريه ومرتينوس حجلي الذين امتازا بدروسها الفلسفية واللاهوتية وكانا موضوع اعجاب اساتذتها . خدم الاول منها الرهبانية وكيلاً عاماً ورئيساً عاماً (١٩١٤-١٩٣٨) السنين الطوال ، كان فيها مثال الفيرة والنشاط والتضحية وكان الثاني استاذاً للنشر الرهباني . يفتقد عليه العلم من ينبوعه الفير الحادي ، وعلى مدارفه ومراهبه الكثيرة كانت تعلق اكبر الآمال ، لو لم تفاجئته المنية في مستقبل العمر ، مديراً عاماً في الرهبانية التي فقدت بهذين الابوين الفذين رجلين من اعظم رجالها . على ان جميعهم قد تقلبوا بوظائف الرهبانية وخدموها والطائفة والبلاد اصدق خدمة .

واسنا نبالغ اذا قلنا ان الفضل في النهضة العلمية في الرهبانية ، يرجع الى رجل العلم والفضيلة الازب مبارك سلامه . وبالكلمة الطيبة التي نجعلها ذبيلاً لهذا المقال ، وهي لحشرة الاباتي باسيل غانم الرئيس العام سابقاً (١٩٣٨-١٩٤٩) خريج

(١) وقد الف كتاب « خزائن الراضين » وغيره من التأملات الروحية المفيدة . ولم يكن يلقى الا قارئاً او صلياً . وهو الآن مقرب منذ سنين في صومعة بدير مار يوسف جربتا حيث ضريح امه افة الراضة رفا .

المهد اللاهوتي الرسولي في الجامعة اليسوعية في بيروت، قد القاها بمناسبة ذكرى الخمس والسبعين سنة لهذا المهد، ما يعني عن الزيادة.

اما ما اتاه الاب مبارك مدة رياسته العامة (١٨٩١-١٨٩٥)، سنقتصر فيه على النواحي الثلاث التي حصر فيها جهوده بهذه الحقبة القصيرة، اي الناحية الروحية والادبية والمادية. واول ما وجه اليه اهتمامه، توحيد الابتداء والمدرسة وهما اساس النهضة التي كان يرمي اليها. فخصص دير مار موسى الحبشي للبتدئين ودير مار قبريانوس كفيفان للرهبان الدارسين وجعله فرعاً او مدرسة اعدادية لمدرسة مار انطونيوس التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت. فمن كان من الدارسين مستعداً واهلاً لتحصيل العلوم العالية، ارسله الى هذه المدرسة. وأسند ادارة المدرسة في دير كفيفان الى الاب اسطفان صفر البتايلي المار ذكره. وكان هو بنفسه اي الرئيس العام يتعهد المدرستين المذكورتين ويوفر للاخوة الدارسين فيها جميع الوسائل لرفيهم العلمي والروحي. وكان حريصاً كل الحرص على حفظ القوانين والنذور الرهبانية ولا سيما نذر الفقر. ويشدد في حفظ العيشة المشتركة بين الجماعية في الاديار والتدقيق في الواجبات الروحية باتقان التأمل اليومي واقامة صلاة الحورس في الاديار الجامعة. ويبعث روح المحبة والاتفة في قلوب الجميع. ولم يكن يكتفي بالتحريض والارشاد، بل كان هو في الطليعة امام الجماعية يحفظ القوانين وقيام النظام ومكافحة البطالة موجباً على كل فرد رئيساً ومرزوقاً القيام بوظيفته. يعامل الجميع بروح الابوة والمحبة وكارئيس الحكيم يعرف ان يجمع بين اللين والشدّة بحسب مقتضى الظروف وحالة الاشخاص. وما عظم ان اكتسب ثقة مرزوسيه بما تحلى به من وداعة وتجرد واخلاص في الخدمة. اذ كان يعتبر الوظيفة خدمة للجمهور عملاً بما قال الرب: «لم يأت ابن البشر ليخدم بل لِيُخْدَم» (مرقس ١٠: ٤٥) ورأى من اللازم تجديد وظيفة المعاملة التي كانت اهلّت مدة طويلاً فاستدعا الى من فيهم الكفاءة ليكفوا معاونين له في الادارة العامة مع المديرين. وكان يشدد في تمكين وظيفة القيم العام وقيم الدير واخذ حسابات الاديار من دخل وخرج، ضبطاً للمالية الرهبانية ونحسناً لاقتصادياتها.

وبعد مضي ثمانية عشر شهراً على تعيينه رئيساً عاماً باسم الكرسي الرسولي،

من مرقد المجمع العام في العشر من شهر تشرين الثاني ١٨٩٢ ، فبعد المجمع في دير سيدة النصر - نسيه برئاسة البطريرك يوحنا الطاح - وعلى رغم المقامات الخارجية ، انتخبه آباء المجمع بالأكثريّة الساحقة ، فتجددت له الرئاسة الدائمة لتقّة الجماهير به ، لما كان يبذله من الجهد والمفاداة في مصلحة الرهبانية ونهضتها . ولم يكن ذلك إلا ليزيده قوةً واقداماً على العمل والسير بخطه المثلى ، مستنداً على ذراع العناية الإلهية ، لا تلوي عزيمته محاسب أو متعاصب . وفي السنة ١٨٩٣ ذهب كمضرب في الوفد البطريركي الماروني الى اورشليم لاجل الاشتراك في المجمع القرباني المعتقد فيها . ومن هناك استأنف السفر مع الوفد الذي كان يرأسه المطران الياس الحويك (البطريرك) ، الى رومية حيث حظي بشرف المتول امام البابا لاون الثالث عشر كما نال الحظوي لدى المجمع المقدس . وهذه المناسبة اقترح عليه المطران الياس ان يسأل من المجمع شيئاً فاجاب : « اني لا اريد شيئاً مادياً ، انا التمس من عطف قداسه ورعاية المجمع السراح بارجاع الآباء الذين ، لاسباب سياسية ، اخرجوا من الرهبانية » فحبذ المطران رأيه واكبر طلبه الدال على عزة في النفس وشفقة ومحبّة لابناء رهبانيته .

فاستجيب طلبه ولدى عودته الى لبنان ، همّ حالاً بارجاع الابرار افرام جميع البشراوي ومخايل غوش التنوري ، الذي عندما كلفوه ترك ثوبه الرهباني ، أبي ومانع بكلّ قواه واستمرّ لابناً اسكيه قائماً بجميع واجباته الرهبانية ، معتزلاً في بيته مدة سنوات . اما الاب افرام جميع الذي كان رنياً عاماً " من السنة ١٨٦٢ الى ١٨٧٥ ، مدة اثني عشرة سنة ، كانوا قد انتزعوا ثوبه واسكيه بالقوة ، لكنهم لم يقروا على انتزاع روحه الرهباني وما كان عليه من تقوى واسعة . فاستمرّ معتصماً بالصبر سنوات ، متعبداً لسيدتنا مريم العذراء ، يألها ألقامته خارج الرهبانية ولو بقي من حياته بضعة ايام . فاستجابت البتول سؤله . وعندما اتاه الرئيس العام الاب مبارك ، ببشرى حصوله على النعمة التي طلبها ، قامت بشراي مدينة المقدمين تهنه وتشكر الرئيس العام جنيعه وتحفظ له عرفان الجليل . وقد استقبله البشراويون بابهي مظاهر البهجة . « بالمراضة »

(١) كان محباً للعلم وهو الذي ارسل عدداً من الرهبان الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ومن جملتهم الاب مبارك سلامه المرحوم

والأهازيج اللبنانية ، على رغم رفضه ذلك . وأبوا الا ان يصحبوه هو والاب افرام ابن بلتهم الأبر ، الى دير قزحيا حيث اقام الاب افرام بفعل الشكر لله تعالى ولايه القديس انطونيوس . على نعمة رجوعه الى حضن امه الراهبانية . ويجب طلبه من والدته الله ، خازنة النعم . لم يلبث سوى بضعة ايام . اذ توفاه الله ميتة صالحة بين اخوته الراهبان ، متروداً الاسرار المقدسة ، مستودعاً روحه بين يدي امه الطدرا . التي تعبد لها كل حياته .

ومع الاهتمام الدائم بالامور الروحية كان الرئيس العام يوجه عناية خاصة بالشؤون المادية : من تحسين الاملاك واجراء اصلاحات هامة في الاديار كدير طاميش مقر الرئاسة العامة آنذاك وتجديد دير سيدة ميفوق على هندسة عصرية كما هو الآن . وانشاء دير مار يوحنا مارون قرب قرية قنيق وشراء املاك له وتأسيس دير مار مارون القنيطرة قرب بيت شاب لكنى الراهبات اللبنانيات القانونيات وغير ذلك من الانشاءات الضرورية .

وعلى رغم انشغاله بالمهام الراهبانية الكثيرة ، لم يكن يتفك عن عمل الرسالة بالقاء الرياضات والمواظ على لدى سنوح الفرحة ومحرض الراهبان على القيام بهذا الواجب المقدس ويوجه بهم الى المدن والقرى حيثما يلزم . وظل مثابراً على خطته هذه المثلى في الداخل والخارج ، الى ان حان وقت انقضاء المجمع العام ١٨٩٥ ولولا ظروف القاهرة لتجددت له الرئاسة العامة واستمر قائماً بالنهضة الراهبانية على احسن وجه الى ما شاء الله !

بعد تنزله عن الرئاسة عهد اليه المطران يوسف الدبس بإدارة مدرسة الحكمة ردها من الزمان . ثم أقيم استاذاً للاهوت للراهبان الانطونيين الدارسين في دير مار اشعيا بعهد الرئيس العام الاباقي عمانويل البعدي . وقد انتدبه المثلث الرحمة البطريك الياس الحويك الى زيارة راهباته بنات العيلة المقدسة المارونيات وان يكون سرشداً لهن غير عادي .

وفي السنة ١٩١٠ تبن من المجمع المقدس بواسطة الزيارة الرسولية رئيساً للمدرسة الراهبانية في دوسيدة النصر - نسيه - غوسطا . وبعدها رئيساً على الاخوة الدارسين في جامعة القديس يوسف في بيروت والمقيمين في مدرسة مار انطونيوس التي انشأها وجعلها تابعة للجامعة المذكورة كما مر . وبعد ذلك

استندت اليه رئاسة الجماعة في دير متى . وفي جميع التورث التي تقلب بها كان مثالا امام الجميع ، لم يكن ليتكلم عن واحد وخدمة ، على ربه الشيخوخة والمرض . يسير كاتمل شواضه ووداعته مع اخوته الرهبان ولا سيما الاخوة الدارسين الذين كان يطيب له الاجتماع بهم . ولاهتمام بشؤونهم وهم يحفظون له مع عرفان الجليل ، كل محبة واحترام . يلتفتون حول شخصه الوقور اربنا وجدوه ، كلابنا . الاعرا . حول ابيهم الشيخ الجليل الذي كان يجمع الى وداعة الحمل ، شجاعة الاسد في الدفاع عن الحق وعن القيام بالواجب واصلاح الحلل لدى الاقتضا . وما كان ليهاب احدا في دفع ما يضر بصلحة ائوهابانية او يسبعتها .

وما زال متطائلا اعمال الرسالة ، تحت عب الشيوخوخة ودا . السكري ، الى ان دعاه في صيف السنة ١٩٢١ ، المحرم الحوراسقف الياش الزيناتي لتسوية خلاف بين اهالي بحوصاف وبمد بذل الجهد والنصح والارشاد توصل الى مصافاتهم والتفاهم مع الكاهن خادم رعيته . وكان ذلك بتناوبة عيد قطع رأس القديس يوحنا المعمدان في ٢٩ آب من السنة نفسها ، وبعد ان احتفل بالذبيحة الالهية والقي غظة في المحبة وسمع اعترافات الكثيرين ، انبكته التعب وثقل عليه المرض ، فخر صريحا في حرمة الجهاد ، شيد غيرة الرسولية . وبات يعارك سكرات الزرع بضعة ايام . واذا كنت واقفا قرب سريره اقرأ له بعض عبارات من كتاب الاقتدا . بالمسيح ، اشار بيده ، وهو بين الوعي والسيوبة ، وقال : « اقرأ لي عن آلام المسيح » فاخذت باشارته واجبته على رغبته . وكان متغزيا متسلما لارادة الله شاركا آلامه مع آلام القادي الالهي . وكان لاشارته تلك سببا ، اذ تبين بعد وفاته انه قد دون في يومياته هذه الملاحظة اخذا عن القديس توما : « ان احسن وانجع وسيلة في ساعة الميت ، التأمل بآلام المسيح » . وبينما هو غائص في بحر هذا التأمل ، مشرق الوجه ثبت الجنان لفظ النفس الاخير ، مترودا جميع الاسرار المقدسة . في الثامن من شهر ايلول ١٩٢١ يوم عيد ميلاد العنقاء التي كان متعبدا لها ، لذلك شاعت ان يكون يوم ميلادها يوم مولده في السماء للسعادة الابدية بقرب هذا الام الحنون . ونقل جثمانه الى دير مار مرسى الجبشي حيث كان مقبلا . وأقيم له ماتم

حافل رعى الصلاة فيه المطران يولى عواد مطران الابريشية والمطران اغناطيوس مبارك مطران بيروت وعدد وافر من رؤساء الاديار المجاورة ومنهم الاباء اليسوعيون من بكفيا والكبوشيون من بعبداً وكان جمهور غفير من المشايخ والوجهاء والشعب . وقد رثاه الرئيس العام الاب اغناطيوس داغر ، تليذه وموضع تقته ، مينا عظم الحسارة بفقده . وقبل ان يورث في الضريح ودّعه صديقه المغفور له الاستاذ نعمون بكى بكلمة بليغة مؤثرة دلت على ما كان له من محبة ومكانة في القلوب .

ومن آثار قلمه ترجمة كتب عديدة فرنسوية فريدة في بابها . منها ما ظهر مطبوعاً ككتاب « دستور الرؤساء للاب قالوي اليسوعي » و« دستور الحياة الروحية » . ومنها مخطوط « مختصر اللاعنوت الاعتقادي » ثلاثة اجزاء وكتاب « الفضائل الرهبانية » ، ملخص عن كتاب الكمال المسيحي للاب الفونس رودريكوس اليسوعي وكان شائعاً بغيرها يوم فاجأته المنية .

واليك الكلمة التي اشرفنا اليها بعرض كلامنا ، نجعلها مسك الحتام لما لها من علاقة بهذا المقال . قد دعي الى القائها حضرة الاباتي باسيل غانم رئيس الرهبانية العام سابقاً والنائب الاستقفي حالياً في زحله . وهو من خريجي المعهد اللاهوتي الرسولي في جامعة القديس يوسف في بيروت . وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين للمعهد المذكور التي اقيمت في ٢٥ شباط ١٩٥٦ .

قال تحت هذا العنوان : « كلمة الرهبانية اللبنانية » :

« ارى من واجبي ، وانا ابن الرهبانية اللبنانية ورثتها العام لسنوات خلون واحد خريجي المعهد ، المعارف باحداث الرهبانية والملم بتاريخها والمطلع على مراحل نمطتها العلمية والاصلاحية ان اكون في مقدمة المقررين بسبل المعهد اللاهوتي الرسولي ، التابع لجامعة القديس يوسف الذي نبتد اليوم عيده الماسي .

كان للرهبانية من يوم اُنشئت اكاديمية القديس فرنسيس كسفاريوس في جامعة الآباء اليسوعيين ، ثلاثة مقاعد فقط يشغلها ثلاثة من ابناء الرهبانية تضفيهم الجامعة وتطعمهم وتطعمهم وتربيهم وتنتفهم ؛ وكان بينهم ، في ذلك الزمن ، أخ نابه اسمه الاخ مبارك سلامة التيني تغرق بدروسه فكان اول من حمل شهادة المعهد اللاهوتي العليا بعد ان جعل المعهد اللاهوتي مهبطاً رسولياً المثلث الرحمة ، الحب الاعظم ، البيا لادون الثالث عشر .

فالرعاية اللبنانية مدينة اذن بنهضتها الى آباء هذا المهد الرسولي الذين عرفوا ان يندروا في نفوس نلاميذهم الرهبان هذه البذور الخيرة ويتهدوها باثقتهم الحية وارشادهم الحكيمه فبت الزرع وصار عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ابريزاً خزته الرهبانية في اهراتها وراحت تطفئه ونظمه حبراً طيباً للعقول وللنفوس في الرمن المواتي .

لذلك جئت اليوم أسبح وانتقياً بما لهذا المهد علينا من ابادٍ يضاء وأقرّ بما له قبل الرهبانية اللبنانية من خدمات وارتحم على اولئك الآباء اليسوعيين الذين وبوا آباءنا وثقفوهم واشكر لهم صنيعهم النيا . اذ لولا هذا الهند ولولاهم لكنا ' على ما اعتقد ' في مؤخرة الركب ' في هذا العصر ' عصر العلم والنور ' او لكان من الصعب جداً على رؤسا الرهبانية ان يطهروا الكنيسة ولبنان ما أعطوا من عقول مفكرة واقلام جريئة ومؤلفات قبة وغيره فادية ومحبة بناءة وفضيلة حقة .

فتفأروا ' اجا الاب الجليل الناضل ' عميد المهد اللاهوتي واقبلوا ' بواسطتي ' شكر الرهبانية على ما أدت اليها جميتكم المباركة من خدمات واقتلوا لحضرة الآباء رؤسائكم اثنتان تلاميذكم الرهبان اللبنانيين ' الاموات منهم والاحياء . فكلنا يرفان جميلكم وتعتيم تضحياتكم والاشادة بافضالكم علينا سواء .

لا زال مهدكم اللاهوتي الرسولي ' كما كان دوماً ' منارة ترسل اشعائها واضوائها الى جميع نواحي لبنان وإلى جميع اصقاع الشرق ينفي على انوارها المنسكون في دياجير هذا العصر المادي فيأسرون الاخطار ويتقنون الاصطدام بمجاذة النار .

لا زال مهدكم مصناً يصوغ الرجال فيخرجون منه كهنة يحملون بين ايديهم الانجيل وفي قلوبهم الله يبشرون بذاك ويحملون هذا في مفاته الاميل ' المقام الاول فبرجمون الناس الى الله وإلى مسيحه او يمدون الله ومسيحه الى الناس : يحملون ويكافحون ويحاربون تحت علم الكنيسة ' المتمدنة ' الرومانية ' علم الصليب والقداة لباسموها في توسيع ملك المسيح ' مع البابا ووفقاً لتوجيهات البابا ايّا كان الاسم الذي يحمل . كان الله سيمياً مجيئاً !!



رد علي مرداد

بنامه ف . ق .

أتحننا الاب يوحنا الحوري بكتابه «الرد على ميخائيل نعيه في مرداد» .
فنشكر له تحفته . يكفيننا أولاً للشنا . على كتابه اقدامه على الرد انتصاراً
للحق والنور ويكفيننا لتقدير عمله هذا اعظم تقدير والاعجاب بجراته فانه قد
تعرض لمن لا يزال عدد كبير من اديبا . عصرنا واقفين امامها بذهول ووجل
اعني صاحب «النبي» وتلميذه المفضل صاحب «مرداد» فاننا ما سمعنا منهم في
محاضراتهم او كتاباتهم الا من يدع . وقد رأينا ايضاً صحفاً من خيار صحفنا
لا تزال تزين اعمدها بمنتديات من هذا او ذاك حتى في مواضع دينية . وكما
اخذتنا الحيرة لرؤيتنا اسم جبران يتصدر اول صفحات كتابه لرواية حياة يسوع
ونحن نعرف آراء صاحب «النبي» في ابن المذرا .

فأهلاً بكتاب «الرد» أهلاً بالقلم الحر الجري . يمامي عن الحق والدين
يشهر برداد ومبادئ الهدامة ورشاياته الكاذبة . اما كفانا رثاء ونحاذل امام
فلسفة ينبذها العقل والدين مما تأتينا متبرجة متلبسة بثياب الفصاحة الكلامية
يتجرع سمومها السُّدَج حلاوة مذاقها .

اكفى صاحب «الرد» في دحض اقاويل مرداد بيان ما تضمنته من
افتراء واضاليل لكنه لم يتعرض للاساس الذي عليه بني مرداد مبادئه الفاسدة
لذلك رأينا الفرصة سانحة لبحث الفلسفة التي عليها ترتكز هذه المبادئ ولم
يتجرأ صاحب مرداد ومعلمه قبله ان يوضحها في واحد من مؤلفاتها العديدة
فانها يلجآن دائماً فيها الى عبارات موحمة ورموز غامضة . فتري جبران يتهمه
متجبراً و«عواصف» تماييره تفرقع وتقصف بينما نسمع التليد يوقع بنومرة على
اوتار قيثارته بجذر وهدر .

فما هي يا ترى هذه الفلسفة وما رأي العقل المستقيم والدين فيها .
المذهب الفلسفي الذي يعتمد عليه مرداد في تأليه الانسان وتوحيد ذاته

بذات الله وتوحيد الكيان بأسره دون تفريق بين خالق وحليقة وتأليه كل عمل يعمله الإنسان دون تمييز بين صالح وطالح : وكلينا أعمال الله . ورفض كل افراز « انا » من « انت » ولي والى . هذا المذهب الفلسفي هو عريق في تاريخ الفلسفة واشهر الفلاسفة الذين تمسكوا به وعرضه بجلاء . وحاولوا تدعيمه بالحجج هما اثنان : بلوتان في الجيل الثالث لليسع وسينوزا في الجيل السابع عشر واسم هذه البدعة الفلسفية (Panthéisme) اي توحيد الكيان كله في وحدة الله . بموجب تعاليم هذا المذهب انه للكائنات الفردية كلها كيان واحد وذات واحدة هي كيان الله وذاته فتكون اذن هي احوالاً عارضة لهذا الكيان الواحد الضروري هي احوال تابع مختلفة هي جزء من كيان الله الذاتي منه انبثق واليه يؤول وهذا الكيان واحد فيما نسميه المادة والروح الحي والجسد . هذا ما يقوله مرداد للاصحاب السذج الذين جهمهم حوالبه وبهرم بتعاليمه « يكفني الله الوهنة التي انتم ثواة منها^(١) . ثم الانسان ... يوحد فيها (في حياته) ذاته ويعود الى عدن عارفاً الوهنة ووحده مع الله^(٢) » ثم : « يا ذاتنا التي لا ذات الالهة^(٣) . وايضاً « قولوا الله انا^(٤) . وهذا تعليم استاذ نبيه نفسه « ان ذاتكم الالهية بحور عظيم ... انكم تسبون معاً في موكب واحد الى ذاتكم الالهية^(٥) .

ثم ان وجود الانسان ضروري من ضرورة وجود الله فهو اذن ازل : « عندما وُلد الانسان في الازل^(٦) . كذلك كل عمل يصدر من الانسان هو عمل الله فلا معنى اذن للصلح والطالح كل هذه الاعمال ضرورية لا حرة وكأها آلهة فلا معنى اذن للعدل والظلم والطهارة والدعارة ... لا يخفي صاحب « النبي » هذا المبدأ بل يقره جلياً اذ ينكر ان يكون معنى لما نسميه الخطيئة (ص ٢٣٦) ويقره بنوع أجلى مراراً صاحب « النبي » مثلاً في كتابه « الاجنحة المتكسرة » (ص ٩٨-٩٩) اذ يكلنا عن آجتماعات رجل مع امرأة متروجة بعيداً عن الانظار فيقول « ... لم نخف قط عين الرقيب ولا شعراً يوخز الضمير لان النفس اذا تطهرت ... تترفع عما يدعوها الناس عياً وعاراً وتتحرر من عبودية الشرائع

(٥) النبي : ص ٤٧

(٣) ص ٢٣٨

(١) ص ٢٠٩

(٦) مرداد : ص ١١٤

(٢) ص ٢٥٥

(٢) ص ٢٣٢

والنواميس . . . اما الذين سيعبون سمي كرمه محاولين تلاويث اسمها لانها كانت
ترك منزل زوجها لتختلي برجل آخر منه من السقم . . . »

وما يكون معنى الشرائع والنواميس والتقاليد حيث لا خير ولا شر بل
اعمال الله : ضرورة بضرورة وجود الله .

كذلك لا معنى للسرقة والناس كلهم « انا » فكل ما لهم هو لي . . .
فالسارق يأخذ ما هو له .

وما يكون معنى الدين والانسان هو الله فهل يسجد الله لذاته والى من
يرفع صلاته وهو هو الله فلا حاجة له فبر كل شيء وكل شيء هو هو . . .
هذا ما علمه مرداد « لنوح » قبل ان يكشفه لساكني القللك . . .

على هذه الفلسة اذن يريد صاحب مرداد ومعلمه ان نبني المجتمع البشري
وعلى مبادئه ان نبني حياتنا بكل اعمالها وان نحكم على اعمال الله فينا وفي
الغير : على هذه المبادئ يبنى السلام ويتوطد النظام في العالم ويحيا فيها الانسان
حياة شريفة لا تفرق بين خير وشر ولي ولك وانا وانت .

هكذا علم مرداد « نوحاً منذ الازل » وهكذا تعلم مردادنا من معلمه
يوم تعارفنا في الزمان وهما واحد منذ ازل الكيان .



تعريف عن الكتب

رب

عقيدة المسلم

بقلم محمد التزالي

دار الكتاب المصري - الطبعة الثالثة ١٩٥٦ ، قطع وسط ، ٢٠٨ ص

انه كتاب يود ان يظال بعيداً عن كل مناقشة توهم الدين بمجموعة آراء فلسفية خالية من التنسيق وهو كتاب يرغب في عرض التعاليم الدينية بمجموعة ليحمل المسلم على الاستمساك بدينه استمساكاً عميقاً كل الحق وينثيه عن جميع التعاليم العصرية الضالة . والخلاصة ان المؤلف يستعرض لمتراضاً سريعاً نقاط المعتقد الاسلامي الرئيسية ويحاول باستناده الى القرآن تصويب مجموعة تعليمه برمتها ، ولكنه قد اورد ما اوردته بحسب الاسارب الاتباعي بدون ان يقيدها امراً جديداً . وزد على هذا انه لم يكن يتغني الجديد كما اعلن ذلك في مقدمته فقد اراد الاستزادة من الخبرة واثرها . تعاليمه بمنجزة رجل رأى الشيء الكثير وصنع الشيء الكثير مع البناء دينه .

وعندما يقتحم المؤلف المضمار الفلسفي ليثبت تصويبه احدى وجهات النظر وغيرها فانه يقيم الدليل على افقه الضيق وعدم تعمقه وقصر نظر فلسفته ضيقاً وقصرأ فجلان كتابه في عداد المؤلفات الثانوية التي لا تحتوي الا على فكرة يسيرة بدائية .

اما النقطة المهمة التي ترغب ان تلفت اليها النظر بدقة وقوة فهي ما نفع عليه في الصفحة ١٢ وما يليها حيث يبدو لنا مدالاً على سوء نيته تدليلاً صريحاً لان الكلام على دين لا يدن هو به يقتضي من التكلم عليه ولو على الاقل الاستمساك باهداب الاحترام ولا سيما اذا ما اعوزته الكفاة والعلم الكافين ليتحدث عنه .

فلقد تحدث الكاتب عن المسيحية وكأنه يتحدث عن امر تافه ، فنحن

إننا من الذين يعدون أني تبكيت مؤمدي على ذلك إذ أننا نطلب منه البراهين الكافية على صحة ما قال كما أننا لن نعد إلى الصراخ لعلنا ان الحقيقة هي برهان على نفسها وان المسيحية لا تحتاج إلى دفاع عنها لأنه من الكافي أن ندرس باخلاص وريانة وموضوعية مادتها لنسلم ولو على الأقل صحة وجودها . أما الكلام عليها كما فعل صاحب هذا الكتاب الذي دعاها بالحرفات فما ذلك لا تقيل للرجل في نظر العلم ، فهو لم يستند إلا إلى القرآن فقط ليؤيد وجهة نظره بصدد الوهية المسيح ، فلماذا علق كل هذه الثقة على كتابه وضرب بيقينه الكتب التي تحدث عنها القرآن بإجلال عرض الحائط ، والامر بالساعت على الاستغراب في هذا القنم من كتاب مؤلفنا هو امتناعه - انه عاجز كل العجز عن ذلك - عن الكلام على المعجزات التي ذكرها الإنجيل وصنعها يسوع المسيح . كما انه قد اورد النصوص التي تبهر إبرازاً عظيماً للشكل الانساني للاله الذي صار انساناً ولا يكثر أياً أكثرات لتصويب الناحية التي هي فوق الانسان في المسيح . وانه لامر بسيط او بالاحرى انه لمنتهى البساطة عمله كاساوب فهو الخطأ بعينه وغير صحيح - وما عدا ذلك كيف يغير الكاتب قداسة هذا الرجل يسوع المسيح ؟ ولكن كيف زيد من رجل عاجز عن الولوج إلى نفسية المسيح الدينية ان يتكلم عن مستورات الدين في الاعماق والتي تولد نفس ذلك الذي قلب تربيع العالم وغير اتجاهه .

وبمقدورنا ان نعدّ وجهات النظر التي كان يحسن . بالكاتب ان يدرسها قبل اقدامه على قذف شتائه في وجه المسيحية ، فطيه ان يتألم من النظر في كتب الذين اهتموا إلى المسيحية بعد ان كانوا من الذ خصومها النبل الذي نجده فيها والحقيقة الوحيدة التي تسطع منها وتفرض نفسها على كل انسان حسن النية . وفي هذه الآونة الاخيرة كانت التهيجات في لبنان على شخص يسوع المسيح كثيرة ولكنها صدرت عن اناس لم يتفق لهم قط ان تحملوا بالشجاعة العلمية ليدرسوا باخلاص . فقد عاهدنا النفس على ان نعدّ لهم قريباً هذه الدراسات ، فهل يتحلون بالشجاعة ليقرواها ويبحثوا فيها عن الحقيقة ؟ وهذا ما نتناه لهم .

روح الدين الاسلامي

بقلم عفيف عبد الفتاح طباره

منشورات جماعة عباد الرحمن - بيروت ١٩٥٥ ، قطع كبير ، ١١٠ صفحة

يشق عليّ ان اقدم ايضاحاً عن هذا الكتاب الذي ينتقل فيه المؤلف باستمرار من المضمار الديني الى المضمار العلمي وهو يريد - مها كلفه الامر - ان يثبت بالاكشافات العلمية كل ما جاء به القرآن والدين الاسلامي من اقوال ويشق عليّ ان اعرف كيف ينبغي لي ابداء الرأي في هذا المصنف ، فقد جاء في المثل السائر ان الافراط في البراهين هو انتفاء اقامة برهان على شيء

وثمة مبدأ اروم اولاً مناقشة المؤلف الذي يدلّ طبعاً على نية حسنة ممتازة فيه ألا وهو : متى كان الدين في حاجة الى التقدم العلمي لاثبات صحته وقيّمته ؟ وهل بالاستطاعة اتخاذ الاقل لاثبات الاكثر ، ان الدين هو مضمار العلاقات الشخصية الخاصة بالله تعالى . اما العلم فمجموعة التواميس التي تضبط الكون ، واذا شئنا ان نجد اثباتاً في ضروب التقدم العلمية بكل شأن دقيق من شؤون الدين فإلا نخشى ان يصبح العلم قاصراً يوماً ولا ينطبق ابداً على ما نبحث عنه ، ان العلم يتقدم من حيث طبيعته والدين يتقدم ايضاً ، بيد ان العلم يتقدم تقدماً اقلّ على حين ان الدين يتقدم تقدماً عمودياً وهنا الفارق الكبير . راجع من الصفحة ٣٠ الى الصفحة ٤٠ .

ولهذا السبب كان الكتاب المشار اليه « مرافعة شخصية » مما استوجب من المؤلف ان يدلّ على المزيد من بعد النظر وصياغة البصيرة ليعز بين المضامين ويظلم في الموضوعية بعيداً عن العواطف والتأولات الجريئة التي وصات احياناً الى درجة المهزلة : لقد قال المؤلف : يقول القرآن قد صنع الانسان من طين ، وفي الواقع لو حللنا التراب لوجدناه مركباً من ستة عشر عنصراً ولو حللنا جزءاً من اللحم الانساني لوجدنا العناصر الستة عشر وليس هذا هو المثل الوحيد .

وانني اودّ التشديد على مبدأ آخر قبل الوصول الى بعض النقاط الدقيقة الا

وهو انه قد كان على المؤلف قبل الشروع في الكلام على المسيحية ان يدرس هذا الدين على خير من يثلونه لانني اذا ما اردت انا نفسي التحدث عن الاسلام فلن اذهب للبحث عن تأويلاتي لدى الزنادقة وانما عند خير مفتريه المعترف لهم بذلك ، اما رينان فليس من المسيحيين المعترف لهم بمسيحيتهم بل هو مارق ، وما محاولة التفتيش عن التفسير الحقيقي لديه الا التدليل اما على سوء نية واما على جهل ، أو لم يبق هناك من هم معترف بمسيحيتهم غير رينان ؟

ولقد عمد المؤلف الى ذكر جميع الفرق التي انكرتها الكنيسة الصحيحة فجعل لا تروا لها قيمة لا يقرها رجل عاقل ، راجع بصدد كلامه على صلب السيد المسيح الفرق التي يذكرها صفحة ١٢٣ وما يليها .

وزد على هذا ان المؤلف قد ظلّ خارجاً عن جوهر المسيحية في كلامه عليها فلم يكن بمقدوره ان يفعل غير ما فعل . فلذلك جاءت هذه التفسيرات خاطئة او مفترضة : فقله مثلاً عن مغفرة الخطايا (ص ١٦٧-١٦٨) ، هو مناقضة من عيار كبير : ان المغفرة تكون اعظم عندما يتأهب الانسان الذي يستطيع الانتقام لنفسه لينتقم ومن ثم يعود ، كما صتم عليه .

اما تأويله للتوحيد المسيحي فهو غير صحيح قطعاً (راجع ص ١٤٢-١٤٣) ومن الواجب ان نبين للمؤلف في هذا المقام عقيدة التثليث . لا اله الا الله . درس في الموضوعية عليه : ثلاثة اقانيم في الله واحد ، فلماذا يريد الكاتب ان يتسك كل الاستسك بابقاء الدين ضمن حدود العقل وان يكون مجرداً عن كل سبر يغرقه ولا يتناهى معه ، مع ان الاسرار كثيرة في الطبيعة . ولماذا نأبى على الله ان يحيط ذاته بالسرى : ما من احد رأى الله الا الذي تزل من السماء ، وزد على ذلك ان تقليل المزة الالهية لتقليل العقل الانباني يحدها هو تصغير لها ، فهل يتبى اذاً الها ؟

واني لا ذكر اسماً آخر - على المؤلف ان يفهمه - وهو انه اذا ما دار الحديث عن انجيل السيد المسيح فلا يعني ذلك الا الاناجيل التي ليست الا رواية واحدة وآياتها شهود مختلفون ؛ لانه ليس ليسوع المسيح الا انجيل واحد ، وارجو عنا الى اللفظة اليونانية نرى ان معناها البشارة . فما معنى كلمة انجيل

في الجمع ؟ (راجع ص ١٩٩).

وثمة أمور عديدة لا بد من قولها وإذمان في قولها وأنا بكفني الآن ذكر بعض النقاط التي استمددتها على سبيل الاتفاق من مطامتي لهذا الكتاب . (ص ٨٥) كيف توصل الى التأكيد ان القرآن يعد بروية الله في الجنة أفلم ينصرف الى احد التيارين اللذين يتحدث عنها ويقسمان تفسير الاسلام على هذه النقطة. ألم ينجز انصاراً زائداً الى التفسير الرمزي ، اما في المسيحية وليس هذا التأويل رمزياً بل تحديد العبارات نفسها المستخدمة في انجيل يسوع المسيح بحسب القديس يوحنا، فهل مسح مؤلفنا ان يتخذ هذا التفسير الرمزي للإسلام ينسب الى محمد او الى الوحي ؟

(ص ٩٤) : لقد اكّد المؤلف بدون ان يساوره أي تردّد ان الملائكة « ليس لهم قوة الاختيار » فهل يستطيع ان يفسّر لنا كيف تمكنوا من السقوط والوقوع بعيدن في الجحيم عن وجه الله ؟

(ص ١١٧) : اين استطاع المؤلف ان يجد في المسيحية ان ذلك يتطلب الانتقال من الجسد، وان النفس تكون في سجن ويقوم جميع عملها الروحي على الانتقال منه ؟ ان الجسد لا بدّ من خلاصه مع النفس وهو الذي يعمل لخلاص الانسان بنعمة الله ليصبح كالنفس هيكل الروح القدس بواسطة سرّ المعمودية .

(ص ١١٩) : انه ليخجلنا ان نشهد الكاتب يمد بعض التأكيدات الرائجة بدون تحييص وتدقيق : ان الرهبان ورجال الدين لا يشتغلون شيئاً فهم قابضون في ديورهم تاركين الانسانية تتخبط لوحدها ، فهل درس مؤلفنا تدريجه العام ؟ أفلم يرّ ان الرهبان ورجال الدين هم الذين انشأوا اوروبة وانهم هم الذين اشتغلوا عندها وانشأوا هذه البلاد التي يكثرها ، وزد على ذلك - وانما من الواجب التحلي بنفس تشربت المبادئ الدينية لقهم هذا الامر - ان الذين لا يخرجون من ديورهم هم انفسهم لهم من الجدارة ما لا يقل عن غيرهم وذلك بصلواتهم وتضحياتهم واعمالهم ليصبحوا افضل مما هم ويخلصوا نفوسهم ويفيدوا المجتمع مستفيدين من نعم الله .

(ص ١٢٤) : ان ما قاله عن تعاليم القرآن الادبية هو عينه ما يأمر به

الانجيل امرًا اشد واقوى . اما المؤلف فقد انكر في الصفحة السابقة على كل
دنى من الاديان ان يكون قال ما قاله القرآن ، فلذلك من الواجب ان نوزع
اليه بان ينعم النظر في مطالعته للانجيل انعاماً اشد انتباهاً .

(ص ١٤٢) : اين استطاع الكاتب ان يجد هذا التأكيد الباعث على
السخرية والمز . لا وهو ان المؤمن يبعد كهنه واحبار ، لا شك ان هناك
نية سيئة مبيتة في تأكيده لثقل هذا الامر ، فان الكهنة والاحبار قد وجدوا
في كنيسة يسوع المسيح للخدمة والتعليم وابلاغ حياة النعمة بواسطة الاسرار
الى هؤلاء الاعضاء الذين هم المؤمنون .

(ص ٢٩٣) : بعدد الطلاق ، يريد الكاتب مها كلفه الامر ان يجعل
من المجر الموجود في المسيحية ، وتبرره اسباب قانونية دقيقة ، طلاقاً ، ان المعاملة
لسهل ترويحها اما اذا كان الزوجان لا يستطيعان ان يتزوجا ثانية فما ذلك
بالطلاق . اما اذا عاش كل منها بحب هواه وكان فاسقاً ، فذلك امر لا
ينكر ، وانما من الواجب التمييز بين الامور .

(ص ٢٨٦) : لقد اوضح التاريخ وعلماء الاجتماع كليفي برول (Lévy Bruhl)
لقد اوضحوا ان تعداد الزوجات هو ضرر ، اما اذا قال المؤلف ان ذلك سعادة
وفلاح من الوجهة العلمية ، فما قوله الا تجاوز لحدود العلم . اما ان اكرد ان
القرآن قد سلم بذلك فان القرآن لم يحدد الامر تحديداً باتاً قاطعاً لان تحليل
مفهوم الحب فلسفياً يفضي الى تأييد قيمة الزواج الموحد اذ ليس بالاستطاعة
ان تحب بدرجة متساوية اشخاصاً عدة . فاذا لم تكن المرأة الثالثة او الرابعة
محبوبة فانها تصبحان كأنها عبدتان .

وتمت نقاط عدة اخرى تستحق البحث والمناقشة غير اننا قد اسهبنا في
الكلام فلذلك يسرنا ان نكون قد استطعنا افادة المؤلف بعض الفائدة لنعنه
على استمداد معلوماته من المصادر الصحيحة لانه من السهل على المرء ان
يستمد معلوماته من هنا ومن هناك فيعتقدها حقيقة مع انه قد زلت به
القدم وابتدته عن الحقيقة اشواطاً واشراطاً .

فلسف و دین

The Communist war on religion, par GARY-MAC EGIN...The Devin —
Adair Compagny, N.W. 1952, 264 pp. 20x14 cm.

ان هذا الكتاب الذي تآزر في وضعه عدد كبير من المؤرخين هو تاريخ الكفاح المستمر الذي تدأب فيه الشيوعية للقضاء على الدين في جميع البلدان التي استولت على مقاليد الحكم فيها .

ويوضح الفصل المخصص بروسية عدم مهادنة الشيوعية في قراراتها لاحتمال وجود مناهض لها او محايد لتسيي حرية الاعتقاد الحرة « الباطنية » .

فمنذ سنة ١٩١٨ قد حرمت التعليم الديني في المدارس وحتى في الخاصة منها ومن ثم كان تحريم نشر الكتب والصحف بدون اذن منها فعممت المدارس والمزارع ودور السينما والصحف التعليم الاحادي والمادي فاستحال على من يظهرون معتقداتهم الدينية ايجاد عمل لهم .

ولقد جاءت سنة ١٩٣٩ تدل على مرحلة جديدة اذ عرض الشيوعيون على رؤسا الكنيسة الارثوذكسية ان يتفقوا معهم وذلك في سبيل توحيد الشعب في الحرب الوشيكة للشوب ضد الغرب : لقد عرضوا عليهم حرية اتيان الشائر الدينية مقابل تأييدهم للنظام القائم ، فانتخبوا سرجيوس بطريركاً فاقام الصلوات وجمع الصدقات للجيش الاحمر واعطوه مقراً له قصر السفارة الالمانية ، ومنحوا خلفه الكسي وسام الراية الحمراء ، فاعلن شجبه للفاشيكان وواشنطن ولندن ، وحظيت الكنيسة الارثوذكسية في الظاهر باساقفتها وكنيتها بيد انهم اصبحوا في الواقع موظفين من موظفي العهد .

ولاسباب سياسية تحمل هذا الاتفاق الكنيسة الارمنية . اما الكاثوليك والبروتستانت واليهود فلم تعرف اضطهاداتهم لهم مهادنة ، ففي سنة ١٩٥١ لم يبقَ يتسع بحريته من الكهنة الكاثوليك الا كهنتان لانها كلتا في الواقع اجنبيين ومحصورين في الحلي الدبلوماسية .

اما الفرق الدينية الاسلامية فكانت باستمرار موضوع الحملات الشواء عليها سنة ١٩٥٠ اذ كانت الشريعة الاسلامية في طريق تصفيتبها في الصحف الديني الذي افتتح سنة ١٩٥١ في طشقند .

وفي تشيكوسلافيا كية قد اختلف الوضع عن غيره اذ ظن الكاثوليك وهم الكثيرو العدد ومن اصحاب الدخف ذات النفوذ الواسع والمستشفيات العديدة والمدارس المختلفة ان في مقدورهم التعاون مع الشيوعيين على اساس حسن النية وذلك سنة ١٩٤٥ عندما تسلموا الحكم فاصطدمت مجيوداتهم في سبيل التوافق معهم بخطة السيطرة الشاملة التي ارادتها الشيوعيون ولم ينحازوا عنها قيد اثلة فحات منظمات الشباب الكاثوليكية وتضمن تعليم الماركسية في المدارس التي انتقلت جميعها فوراً الى يد الدولة وبدأ التهجيم على الفاتيكان الخ .

وفي اثناء انتخابات سنة ١٩٤٨ لما قدمت الحكومة لائحة وحيدة باسماء المرشحين وجميعهم من الشيوعيين ارادت ان تفوز بتأييد الاكليريكيين لتلك اللائحة فرفض الاساقفة التزول عند رغباتهم وامروا كهنتهم بالوقوف على الحياء فثار ثائر الشيوعيين وحلوا حملات نكراء على الفاتيكانيان وقرروا ان يقطع علاقات الاساقفة به ووجوا التهم الاخلاقية للاكليروس الكاثوليكي واقتلوا المدارس الاكليريكية وعمدوا الى تصفية الجمعيات الدينية وارسال رجالها الى مسكرات الاعتقال فكابد الاكليريكيون المجاعة بسبب مصادرة الشيوعيين لاملاك الكنيسة ومجرمانهم الصدقات ومحافظة الدولة على دفع مرتبات الاكليريكيين المتأكدين - ن « ولانهم سياسياً فقط » .

واوجلت الحكومة في الوقت نفسه « عملاً كاثوليكياً » مصطنعاً لحسابا ووضعت تحت تصرفها جريدة كاثوليكية قديمة .

واقعد انقذ الكرسي الرسولي المقدس « ذلك المل الكاثوليكي » الذي اصطنعه الشيوعيون ، فابلغ الاساقفة والكنيسة على رغم مجيودات الحكومة وتهديدها حكم الكرسي الرسولي للشعب فاتهمهم الحكومة بانهم خائون وبانهم عملاء اميركة واحتجزت اختام رئيس الاساقفة بيران (Beran) واستخدمتها في اصدار تعليمات اسقفية كاذبة ووضعت رئيس الاساقفة تحت مراقبة رجال الشرطة وفرضت على الكهنة ان يقسموا للعهد بين الولا . فطلب الاساقفة ان تكون السين مع تحفظ ضد كل ما يناقض نوااميس الله تعالى والكنيسة فرفضت الحكومة طلبهم وشرعت منذ ذاك الحين بسجن الكهنة الذين ابوا توقيع امضاءاتهم بدون هراة .

وفي سنة ١٩٠٤ كان عدد روسياتي في هونغ كونغ سبعة ستمائة في السنة ،
 حكومة هونغ كونغ في مدارسها الابتدائية وعلى نفقتها اكليريوساً
 موهوماً. وفي الفصل المخصص هونغ كونغ على ذكر قصة شبيهة بهذه القصة : كالقصة
 الحجاز على المدارس وابتعاد حزب كاثوليكي كاذب تغذيه الحكومة على نفقتها .
 والامر الجدير بلفت الانتباه على الخصوص هو كيفية تنظيم الطرق المستخدمة
 في دعوى الكردينال مندزنتي (Mindsenty) وغيره من الذين وجهوا اليهم التهم .
 وانما لنترى في الفصول التالية المخصصة باوكرانية ورومانية وبلغارية
 ويوغوسلافية والبنانية والدول البلطيقية وپولونية والمانية نفس التوسع اللئيم الحالي
 من الشفقة في اساليب التضييق والتشريع والتدخل .

والفصل الاخير الذي يعني بالصين وكوريه فانه يذكر بعض الذكر مواعيد
 سوء الوضع فيها سرّاً كبيراً من موعد صدور الكتاب سنة ١٩٠١ ويشير
 صراحة الى المكان الذي تركزت فيه الاضطهادات : ككافحة « شبكة
 الاستعمار الغربي » . اما ذلك فيساعد على فهم مجهودات الحكومة الصينية لتوسيع
 حركة « ضروب الاستقلال الذاتي الثلاثة » - استقلال الكنيسة الصينية الذاتي
 لادارة نفسها وتلافي مواردها وجمع شملها - الحركة التي تؤدي عملياً الى الانشقاق
 وفي مثل هذا المقام نجد ايضاً الافتراءات والتهم بحق المرسلين ونجد اغلاق
 المدارس والحملات الصحفية وحل المنظمات الدينية .

هذا هو الكتاب المعتدل في ارائه ولكنه حافل بالوقائع . والذي لا
 يستغني عن مطالعته من يؤذي الادلاء بحكم على نيات المهد الشيوعي بصدد
 الاديان ولا يقوى على عدم قراءته من يرغب ان يعرف عملياً ماهية السيطرة
 الشيوعية على بلد من البلدان .

ا . ك

الاسلام والمناهج الاشتراكية

بقلم محمد القزالي

الطبعة الثالثة ١٩٥٦ - مطبعة دار الكتاب - ١٨٣ صفحة ، قطع وسط

لا يثبتنا هذا الكتاب الآخر الذي يصدره المؤلف الأعلى الرأي الذي ابديناه
 بصدد كتابه على تعليم الاسلام . وان الكتاب لوجل عملي يروعه كل ما هو

حياة باطنية وروحية ، فقد اعطى بعض ابصاحات معروفة حول نقاط تعليم اجتماعي :
 « كالتأمين الاجتماعي والطبقات الكادحة وغيرهما . » ولكنه لم يتكّن من
 الوصول الى القبض على ناصية موضوعه ليفصل بين ما هو مبدأ الفكر الانساني
 الحقيقي الابددي - الذي يعتقد ان البحث فيه اضاءة للوقت - وبين التأملات
 المحسوسة الناجمة عن التجربة اليومية في الفرع الفلافي او الفرع - الآخر لاصل ،
 ولست اودّ ايراد مثل على ذلك غير تعريفه للدين : « لكن الدين هو النظرة
 السليمة والعقل الرشيد والانظمة العمرانية التي تتجه اليها الفطرة ويستريح اليها العقل
 ما دامت تثبي في حراسة الضير اليقظ للدخول بالله . . . الدين هو الضير الانساني . »
 ولا بدّ من كتاب كامل لمناقشة هذا التأكيد البسيط الخاطي ، فتي كان
 الدين خليطاً مع العقل المستقيم والفطرة السليمة . واذا ما اكد المؤلف قيمة
 القرآن الموحاة فليه ان يؤكد بحسبها ان الدين هو العلاقة الشخصية بالله من
 خلال كلمته الموحاة لكنه قد كلف نفسه عنا. القول لنا ان التصرف هو
 خداع (ص ١٧٦) : دعونا من فلسفة التصرف النقي ومن فلسفة المادية الصغيرة .
 ونودّ ان نطلب من المؤلف الذي يدرس في هذا الكتاب فلسفة الفقر
 والغنى ان يعنى قليلاً دراسته للفلسفة وان يوضح موضوعاته قبل اقدمه على
 ان ينشر في الجمهور تأكيدات مبتذلة كل الابتذال ليجعلها كأنها مبادئ تربوية
 لعقلية ابنا. عصره ، وان نصيحتنا له هي الانصراف عن الاهتمام لافكار يخطئ
 فيها غالباً لكي لا يعني ألا بتدوين الاحداث .
 ١. ع. خ.

الاسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله

بقلم عباس محمود العقاد

الطبعة الاولى ١٩٥٤ - مطبعة دار التأليف ١٨٥ صفحة - قطع صغير

ما كان اشدنا رغبة في ان نرى لدى اديب مشهور كالعقاد نفساً يتجلى
 فيها مزيد من الحفا. في عرضه لموضوعه الذي ودّ فيه ان يتفوق الاسلام على
 بقية اشكال الاديان القائمة مها كلفه الامر : فقد حمل على عدد كبير من
 الاديان الموجودة وراعى جانب المسيحية ، ايعرف المسيحية مرفة وافية ليري
 ان الذي يتقدمه وان الذي يتسنى ان يراه في الاديان انه يحده غزيراً فيها ،

وسكن القواد لا يود أن يجعل من كتابه كتاب تعليم بل ترميحاً : إلا وهو تاريخ الإسلام بشئ فرقه في القرنين التاسع عشر والعشرين ، أما ما تقع عليه من احصاءات عنده فيمكن القارئ ذا الألبام بالتاريخ أن يفاد منها لأنها تعطيه فكرة عن انتشار الإسلام في العالم .

ومن الواجب الاحتراس عند قراءة فصوله الثلاثة الأولى التي اتخذ فيها المؤلف دور المحامي المدافع ، ومن الواجب أن تتخذ انبثقت المؤلف نقطة فتحة لنقده على ما جاء به بصدد الزواج وتعداد الزوجات الخ . فالمسحية كانت منذ وجودها تقول بالزواج الموثق وهذا ما يبدر أن الكاتب قد جهله يستند إلى رستر مارك الذي يستمد منه نتيجة يود أن يجعلها شاملة للمسيحية وذلك هو الخطأ بعينه . . فما أحرانا بمعرفة ما نريد أن ننقده معرفة صحيحة . ا.ع.خ.

مؤتمر الشهداء

بقلم عصبة من الكتاب الأحرار ، مهّد له يوسف إبراهيم يوبك

منشورات جريدة اليوم - بيروت ١٩٥٥ - ١٧٩ صفحة متوسطة

إنه عصر برمه وعهد بأسره يعود إلى الحياة في هذه الصفحات التي يقوم بها الحزن والألم إلى جانب عزة النفس والاختيال تياً ، فجميع أولئك الشهداء الذين نردّد اقوالهم واسماهم وكانت دماؤهم بذراً لمجدنا وغرنا هم ماتلون أمام أعيننا أكثر من أي إنسان كان وهم يرشدون الأبناء . وابناء الأبناء إلى طريق المفاخر الواجب عليهم انتهاجها : كحب الوطن والشجاعة ليدافعوا عنه ببذل الدماء .

واننا لشكر الأستاذ يوسف إبراهيم يوبك على الرغبة التي أوجدها منذ بضع سنين في افئدة اللبائين في تاريخ بلادهم رغبة غدونا معها بدرجة لا نستطيع أن ندير الظهر إلى تدرينها . ا.ع.خ.

The evolution of public responsibility in the middle East. — Published by the Middle East Institute. Washington, D.C. 1955 — 118 pp.

اثنى معهد الشرق الأوسط في واشنطن سنة ١٩٤٦ وغايته التعرف بالشرق الأدنى الحديث فهو يقيم المحاضرات عن اوضاع الشرق الأدنى الحديث

ومشكلاته وذلك فضلاً عن الصحف الدورية المهمة التي يحددها « كجريدة الشرق الأوسط » والتقرير عن الشرق الأوسط .

ولقد جمعت سلسلة هذه المحاضرات في كتاب عنوانه تطور المسؤولية العامة في الشرق الأوسط (*The evolution of public responsibility in the Middle East*) وأنه لمن الصعب ترجمة كلمة (public responsibility) لأنها تتناول أوضاعاً شتى فهي تشير إلى الأهمية التي يعلقها الأهليون على الشؤون السياسية وتتناول أمر تبنيهم للحس الوطني واستثمارهم لحقوقهم وواجباتهم كالشعور بالمصلحة العامة لدى الحاكمين ، ولا ريب في أن الأمر هنا يتناول بلدان الشرق الأدنى التي وصلت جميعها إلى الحكم الذاتي أو هي في طريق الوصول إليه كما يتناول ظاهرة جديدة كل الجدارة باعتراف الإنباء لأنها تتحكم بمستقبل هذه البلدان . والمحاضرة الأولى التي ألقاها ت . كويلد يونغ (T. Cuyler Yong) كان موضوعها : الشرق الأدنى كما يراه الأميركيون ، وقد جال فيها جولة سياسية مالية في جو الشرق الأوسط ، فبحث أولاً تقدم الشعور بالمسؤولية في هذه البلدان حيال العالم الحر ومن ثم المجهودات المبذولة في تركيا وإيران والعراق لإيجاد الحلول الحتمية لقضايا الاحتكاك بالقرب كقضية « قناة السويس مثلاً » ولتذليل العقبات التي تصادفها أميركة لكي تبني سياسة مقورة في الشرق الأوسط وتؤمن مسؤولياتها فيه كحكم أو كساعد ، ومن ثم بحث بعد ذلك ما قطعه تركيا ومصر وإيران والعراق من اشراط في التقدم باستثمارها بمسؤوليات الحكومات حيال شعوبها وحيال المصلحة العامة .

واستعرض السيد انور علي بعدئذٍ وجهة نظر بلدان الشرق الأوسط في الوضع الحاضر مبيناً أهمية هذه المناطق الاستراتيجية وكيف اتفق قيام شعور العدا في السيطرة الأجنبية وأوضح تيقظاً الوطني ونجددها الاجتماعي بقوله : ان سبب عدم الاستقرار في هذه المناطق سبب العاملان : فيه استمرار ضغط التنظيم الاقطاعي أو القبلي واستياء الجماهير المنشئة فيها الامية ، ومن ثم تصدى المحاضر إلى استعراض موارد الشرق الأدنى - كالزراعة والبتول واليد العاملة وإلى المجهودات المبذولة في تركيا ومصر والعراق بسبيل انعاش الانعاش الاقتصادي وادخال الاصلاح على ملكية العقارات - مشيراً إلى الحاجة إلى رأس مال وإلى

التدوين ودن على النقاط التي برامح انعاش ررادي واقتصادي يقوم بها الاعتدال ان يرمى اليها .

ودرس السيد بادو (Badeau) امر الاستقرار بين حكومات الشرق الادنى . وقال ان السبب الاول في عدم استقرارها كان اصطدام الرغائب فيها بالاستقلال . التام بالاحتلال العسكري لهذه المناطق ذات الاهمية الاستراتيجية احتلالاً اقتضته الحرب العالمية الثانية ، اما السبب الثاني فتأتى عن نقصان تنظيم جماهيرها تنظيمياً سياسياً لتظل شديدة الجهل للقضايا السياسية وللروح العامة ولتبقى سهلة اثارها ، ووضح ما يقوم من صعوبات لرفع مستوى التعليم ولاقرار الاصلاحات الاجتماعية الضرورية فيها .

وعالج السيد جورج لنكزونسكى (M. Georges Lenczonski) هذه القضية نفسها واتا بشكل اخر : اى عما اتفق من امر تصنيع موارد البلاد الطبيعية وغرها مشيراً الى تغيير تكوينها الاجتماعي والى الشؤون الاجتماعية الناجمة عن ذلك والى ما لها من خطورة . ومن ثم الى الامور السياسية الخارجية التي اوجدتها ضرورة تأمين المساعدات المالية والصناعية ومن ثم بحث السيد محمد كبير لودين (Mohammad Kabir Ludin) بحثاً خاصاً حالة الافغانستان وبحث دون برتر (Don Peretz) وضع اسرائيل والسيد كاظم كوك (Kasim Kulek) وضع تركية .

ومحاضرة السيد سينغن دورسي (Stephen Dorsey) بصدد استياء الفلاحين والطبقات العاملة استياء اجتماعياً وما يشيرونه من شؤون هي محاضرة شتقة . اما السيد الفرد كارلتون (Alfort Carleton) فتحدث عن العمل الثقافي المتبادل وعن المسؤولية العامة .

وليت محاضرة السيد ج. ف. الن (G. V. Allen) والكولونيل توكيس (Taxis) الاخيرتين الاولى حول دور الولايات المتحدة والثانية حول السلامة الاقليمية والعالمية باقل اهمية .

وسري ان يطلع على هذه البيانات المتتالية التي جا بها رجال اختصاصيون عن فهم عميق ونظر بعيد جميع من يريدون فهم مشكلات الشرق الادنى الحالية ورغبون في استنباط المستقبل منها .

مراجع واراد

الصابئون في حاضرهم وماضيهم

بقلم عبد الرازق الحسني

مطبعة العرفان - ميدان ١٩٥٥ ، ١٢٩ صفحة ، قطع كبير

لا مندوحة لنا عن شكر المؤلف على الدراسة التي انحفنا بها عن الصابئة فيقتبط جذ الغتباط اللاهوتي والمؤرخ الديني اذا ما عثرا على دراسة غنية بالمستندات ومبتكرة احيانا لتروونا بعلومات جديدة لان المراجع على الصابئة صعب الفوز بها .

وعلى الرغم من ندرة هذه المستندات فقد اغترف المؤلف من مراجع حمة وعرف ان يوب موضوعه ليقدم لنا دراسة بسيطة واضحة في خطوطها الرئيسية . ويشمل هذا الكتاب على فصول ستة : الصابئة في الامس واليوم ومعتقدات الصابئة وكتبها المقدسة وعلماها ونبياها واستعرض المؤلف في الصفحات التي تلت هذه الاقسام بعض شعائر الصابئة كالصوم والصلاة و«المعمودية» والزواج والاعياد والموت ومراسم دفن الموتى .

ولو حاول المصنف الاتيان ببعض المقارنات بين الاديان التي استحدث منها الصابئة معتقداتها لربما كان ابلغ تشويقا لقرائه كما فعل من وقت الى آخر بدون تعليق مخطئ .

ولا يسعنا الا ان نشكره على دراسته ، نحدونا الرغبة الى ابراز مثل هذه المصنفات التاريخية باخلاص بعيد عن التحيز وبصورة موضوعية علمية نشق المتعقدات .

ذكريات

بقلم لطفي بك الحفار

جلدان ، ثرهما وجيه يضرن ١٩٥٤ ، دمشق ، ٢٩٥-٣٩٩ صفحة قطع كبير

هي خمسون سنة يقضيها في حياة عملية في مختلف المضامير القومية والوطنية والسياسة والاجتماعية والاقتصادية ، وها هي ذي بين ايدينا مجموعة الخطب

ومعالات لتي نعاها اسيد لطفي احمر وشهرها في محتف الصحف وهي تعظيما
وكرة حية عما رده رجل الدولة من نشاط عظيم في سبل مصلحة بلاده
بدون ان يشد مكافأة سوى ارتياح وجدانه الى الجهد الذي قام به بل ارادته
وبنفس سخية لخدمة الصالح العام .

وان وجه لطفي الحفار لمن احب الرجوع هو الذي كان زعيماً بما هذه
الكلمة من معنى فقد اوتي بعد النظر وهو نظم وبأمر . وكان محبوباً ومتبعاً وحقق
حاجات بلاده وحرص على حلها على خير ما يمكن ودرّب الكثيرين من اولي
النيات الطيبة الخائفة الرجولة وحملهم على ان يتأثروا خطاه المنتجة في سبل الدولة .
أهو الزعيم ، فقد كان لطفي الحفار زعيماً ومفكراً جعل دأبه التفكير قبل
الكلام ، فان الحوادث التي مر بها قد تطلبت منه تفكيراً ناضجاً وعملاً شاقاً
يشكر عليه ، وما هي دي خطبه في شتى الموضوعات تعكس فكر من وقعه بنفسه
واقنع بما يقوله وفكر المقنع بدوره كهادر ومدرب عليه ان ينير معالم طريق حافل
بالمكائد امام رفاقه في الجهاد فكان لا بد له قبل كل امر من ان يفكر .
ونحن نشكر الناصر الذي لم يخف اعجابه واخلاصه بشخص لطفي الحفار
الذي يستحق ذلك كل الاستحقاق .

في قصور الخلفاء العباسيين

بقلم الدكتور احمد شابي

القاهرة ١٩٥٨ - ٢٤٤٠ - دفعة - قطع كبير

ليست المصنفات التي تبحث العهود العباسية بنادرة كما توضح ذلك كل
الايضاح اسماء الكتب التي استشهد بها المؤلف بيد انه اذا وجدنا دراسات
تاريخية لهد ازدهار الثقافة والحياة الاجتماعية في العصور العباسية فاننا لا نعثر
على دراسة نفسية تبين بعض اوضاع الخلفاء ورجال حاشيتهم او اوضاع الادب
وان الولوج في نفسية عصر من العصور ومحاوله التحقيق عن العوامل التي افقت
الى ازدهار الناحية الفلانية او الناحية الفلانية الاخرى فانها يوضحان سبب قيام
وضع من تلك الاوضاع وانها الرغبة في حمل النفس على تكلفها الجهد ولكنها
يؤديان الى ادراك الاحداث التاريخية ادراكاً اتم .

ولقد درس مؤلف هذا الكتاب الذي لم يتفرّد بطابعه تفرّداً كبيراً في فصوله الأربعة البيئة العامة التي اتسع فيها تاريخ العهد العباسي ودرس المؤامرات التي حيكت في قصور الخلفاء. وما مثله فيها من دور الربيع بن يونس وابنه وأخيراً جاء بدراسة نفسية لذلك العهد فكان هذا الفصل الدراسة الوحيدة الأشد تفرّداً بطابعها والدراسة العميقة التي أدت بالمؤلف إلى تأكيد نفوذ الربيع وابنه نفوذاً خارقاً للعادة ليحطم الإمبراطورية وينسب اهلاك عدد كبير من معاصريه الذي كان يوجب من نفوذهم شراً .

ولئن كان هذا المصنف غير متفرّد تفرّداً كبيراً بمجدة موضوعاته فإنه لا يخلو من ذكر البراعث الأساسية التي جرت الكاتب على العودة إلى مصادرها الأولية مستوحياً منها .

وجدير أن يُحتذى بهذه الدراسة من وجهات نظر عدة ، فإننا شعبنا من دراسات تاريخ تلك المصور الإسلامية دراسات تذكر لنا الحوادث ليس إلا فمن الواجب أن يجدد بعض التجديد الذين يودّون الكتابة في هذا التاريخ وأن ينصرفوا إلى الناحية النفسية ، فإن التقدم العلمي في أيامنا سيحولنا الانصراف إلى دراسة الماضي دراسة معمقة وجذابة .

١. ع. خ.

شرح لزوم ما لا يلزم لابي العلاء المعري

بقلم الدكتور طه حسين وإبراهيم الأنباري

الجزء الأول - مطبعة دار المعارف - ٣٩٠ صفحة ، قطع كبير

انه لعل جبار التعليق على كتاب أبي العلاء المعري الكبير هذا ، انه لعل طويل وشاق لانه عندما يتخلل اليأس اثنا عشرنا على المي الحقيقي لاحد اللزومات نصادف عقبات لغوية كبيرة جداً بيد ان الدكتور طه حسين قد المع في نهاية المقدمة التي ميّد بها لهذه الطبعة الى ان التفسير المنسب لشعر أبي العلاء المعري والمنسب احياناً بدون جدوى انه ليس من وضعه بل هو من تفسير ابراهيم الأنباري غير انه يتحمل معه كل تبعه ، اجل انه لما أتى جميل ان تساهم طائفة من زملاء في احد الاعمال وان ينمر واحد اسم زميله بما له من شهرة كبيرة لكن ذلك لا يحول دون النعمة ليلقوا نظرة جديّة على مجموعة الكتاب نظرة متواصلة .

وإذا ما قلبنا صفحات هذا الشرح الطويل لهذه الطبعة ترى ان الرصة تحدونا الى تدوين جميع ملحوظات الشارح التي يقتضي لها مدورها شرح او تصحيح مما يفضي بنا على هذه الشاكلة ربما الى كتابة مجلد برأسه لكن هدفنا لا يتوخى هذا الامر وان كان في الكتاب بعض الامور الشيقة ولذلك سنأتي ببعض الملحوظات فقط .

راجع في الصفحة ٣٥ « كلمة القلوص » : فهل كانت الضرورة تقتضي كل هذا الشرح المعقد الصعب لامر سهل جد السهولة .

وانظر في الصفحة ٥٠ كلمة إضم : فيفسرها : ما . بين فلة واليامة ان المؤلف ليس لديه شعور بالمسافة وان كلمة بين هي غامضة كل الفموض لانه لاجتياز المسافة بين فلة واليامة لا بد من ايام عدة .

وراجع في الصفحة ٢٠ حيث رأى الشارح كلمة الثوب هي جمع نادر لثانة مع كونها هي الجمع العادي لثوبة . وارجع الى الصفحة ٩٠ فلماذا خص الشارح كلمة الثوام بالجمال وهي تنطبق على جميع ضروب الحيوان . وهناك اغلاط عدة تبقي الاشارة اليها وجملة ايضاحات لا بد منها ، فراجع ايضا الصفحة ٢٢٦ تر الشمر التالي :

ونختلف الانس في شأنا وانجد بن باع بمن شري

فان الها . في شأنها تعود الى الانس لا للحياة كما يقول الشارح فان الناس شؤونهم .

وينا ان نشير الى عدة فقرات اخرى كان على الشارح ان يكون اشد انتباهاً فيها لشروحه اللغوية ، وانا لنأمل ان يتحفنا الكاتب الثاني وطريقة فضلى في التحليل والشرح .

١. ع. خ.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي

بقلم ادوار جرانفيل براون

نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشورابي ، ١٩٥٦ ، طبعة جامعة كمبرج

٧٥٠ صفحة - قطع كبير

لا نستطيع في البد. الا تهنئة المترجم على جرائقه وصياغة فكرته لترجمة

هذه الموسوعة من الادب الفارسي التي لا تحتاج قيمتها الى التعريف بها لان السنوات الطويلة التي استغرقتها المؤلف في وضع هذا السفر الكبير والدقة التي تم عنها جميع صفحاتها والادبا. الزاخرة معارفهم الذين درس حياتهم واعطى فكرة عن مؤلفاتهم والمقارنات التي اقامها بين بعض ميّزات اولئك الادبا. المختلفة كل ذلك قد جعل قيمة جديرة بالتقدير لهذه للدارسة .

واذا استغرق المؤلف براون سنين طويلة في دراسة اللغة الفارسية التي عكفت على اقتباسها منذ حدائنه فذلك ما يفيد انه عرف ان يلج في اعماق الادبا. وان يجيأ معهم وان يستنبط من وراء ما أثرهم ولا سيما من وراء قصائدهم الروح التي اوحتها اليهم ، وعلى الجملة اننا لا ننشف من الفصول النعمة التي ينقسم اليها الكتاب الماروف الواسعة جذ الاتساع فقط بل نرغته الى استجلاء اسرار الادبا. الذين كانوا موضوع دراسته .

ولئن جئنا اتفاقاً على ذكر «تقديره لرباعيات الحبيب» في فصله الرابع «ودراسته للمطار» في فصله التاسع وعلى غير ذلك من البحوث فاننا نلوي من خلالها نفس المؤلف براون ذاتها .

وتشير الاحكام التي حكم بها المؤلف على كل من هؤلاء الادبا. الى معرفته المنيقة بهم ، وربما ودنا لو كان استراد من تقديراته لهم لتمسكن من مواصلة الدراسات والبحوث بدون ان نخشى زلة القدم ، اما اذا رغبت الى المؤلف الذي اتخذ على عاتقه الحوض في هذا البحث الواسع في الادب الفارسي ان يذكر لنا المخطوطات المهمة التي لم تطبع فلكون طبعها يؤدي الى اسداء خدمات جلي لتقدم العلم .

ونحن لا ننصر للمؤلف المآخذ عليه وقد كان بتقديره انجاز كتابه من هذه الناحية وانما نرغب اليه اذا ما اراد اعادة طبعه ان يسكله في هذا الاتجاه وان لم يستطع فليتنقل وهو الاختصاصي بالادب الايراني ان يضاعف معلوماتنا بصدد المخطوطات التي لم تطبع بعد ولا سيما مخطوطات كبار المؤلفين .

خراجات الفكين والوجه والعنق ذات المنشأ السني

بقلم الدكتور جورج ا. لقيس

دار المكشوف ، بيروت - ١٩٥٤ ، ١٥٢ صفحة ، قطع صغير

ليست اطروحة الطبيب جورج لقيس لاحراز الدكتوراه والتي تبحث في خراجات الفكين والوجه والعنق (خراجات الفكين) كتاباً مفيداً من الوجهة الطبية العامة فقط بل هي مفيدة من الناحية اللغوية ايضاً . وبطبيب لي ان الفت النظر الى هذا الامر ولا سيما وقد عدت الذرة القائمة اليوم ميالة الى البحث عن المخطوطات القديمة التي تعنى بالشؤون الطبية لا يعودوا الى التفتيش عما كان القدماء يستخدمونه من ادوية لمعالجة الامراض المختلفة بل لايجاد العبارات التي كانوا يستعملونها في الشأن الغلافي او الشأن الآخر . ولا سبيل للريب في ان الدكتور لقيس الذي ذيل اطروحته بثبت لاهم العبارات مع ترجمتها قد ادى خدمة جلي للغة الطب الفنية . ونحن لا يسعنا الا شكر دار المكشوف على اتحافنا بمثل هذه الدراسات التي تستوجب التقدير ، كما اننا كنا نودّ لو ان المؤلف الحق بكتابه فهرس موارده .

ا. ع. خ

الدوحة العمشيتية

بقلم اديب بك لحود

تأريخ افراد عيال عمشيت الثلاث عبيد وكلاب كرم - بيروت ١٩٥٥ ، ١٤٤ صفحة ، قطع كبير

ما تأريخ امة من الامم الا تأريخ العيال التي تكونها على سمر القرون والايال ، فقد اتفق لبعضهم ان وضع تأريخ عيال بعض الناطق فكان توفيقهم في ذلك متبايناً ، فنذ ثلاث سنين كسر المأسوف عليه الاب بشعلافي نهجاً لدراسة العيال المرتبط اسما باسم لبنان ارتباطاً وثيقاً لكن المنية عاجلته ، اما الآن فما هوذا اديب بك لحود يد هذه الثلثة ويدرس تأريخ منطقة عمشيت ببعالها الثلاث : آل عبيد وآل الكلاب وآل كرم دراسة مشوّفة ملقياً نظرة عامة على هذه المنطقة من الوجهتين الجغرافية والتاريخية فرافقه التوفيق بان اوضح

مكرة عامه من خمسة اثنى عشر ترقيمها في عدد قيس من صفحات .
 وسنعود الى هذه الدراسة واي شاكلها من دراسات لتجد آثار الماضي
 ومخلفاته .
 ا. ع. خ

GUGLIELMO DE VRIES S. J. — *Oriente cristiano ieri e oggi* — Edizione della Civiltà Cattolica — s. d. 400 pp.

انه الكتاب الذي لحص فيه المؤلف تزيخ الطوائف فرغب فيه مؤلفه ان يعطي في صفحات خاطفة مجموعة من المعلومات التاريخية واللاهوتية حول الطوائف الشرقية المتعددة واننا سنقع في هذه الصفحات على اقوال لا بد من العودة جدياً الى اصلاح خطائها لانها احكام منسقة كما اننا لا نقوى على كتابان اسفنا حول بعض اراء اخرى سريعة تحدث فيها المؤلف مرتين على الموارنة اسند في اولها الى جرمانوس القسطنطيني والى شايو (عدو الموارنة الالذ) ويؤكد ان الموارنة قد ابتعدوا عن الكنيسة الكاثوليكية ليعود من ثم عن رأيه فيقول : ربما كانت « هرطقة » مادية فقط . اما في الفقرة الثانية فقد ايد المؤلف قوله بان « هرطقة » الموارنة هي حادث تاريخي ثابت .

فكيف اتفق للمؤلف ان لا يشير الى المستندات الرومانية مستندات الكنيسة التي تحفظ ذكر انشقاق الموارنة وارتدادهم وهي المستندات التي لا يمكن ان تطس ، فهل صعب عليه كل الضميمة ان يعود الى هذه المستندات ، ولئن اكد الكاتب ان الموارنة قد ابتعدوا « مع بطريركهم واساقفتهم عن رومة وانهم قد عادوا اليها أفليس لهذا الامر اهمية كافية لكي تحتفظ الكنيسة الرومانية القابضة على زمام الحقيقة بذكره . ومن هو غليوم الصوري وما هي اهميته ليستند اليه المؤلف ويقول ان انشقاق الموارنة هو امر واقعي ، لقد دون المؤلف واقعاً طبعاً فما هو اذاً هذا الواقع ؟ وما هي قيمة رجوع المؤلف عن رأيه اذا كنا نعلم ان رومة تسجل الحوادث الدفينة بكل اهتمام وعناية . اما اذا تسال في الفقرة الثالثة عندما يتحدث عن لبنان ليقول ان عدد سكانه لا يبلغ المليون وان سورية لا يتاخر عدد سكانها الثلاثة ملايين فلت ادري الى اية احصاءات قد استند لان لبنان يزو عدد سكانه عن المليون وسورية على الثلاثة ملايين .

واقدر رغبت في الوقوف عند هذه النقاط لا لأقلل من قيمة هذا المصنف المفيد من نواح أخرى بل لالفت الانتباه الى السرعة التي وضعه بها صاحبه .
ولقد وقفنا على بعض الامور غير الصحيحة بين جملة احكامه الاكيدة المدعمة بالحجج ومنها ما هو له اهميته .

ولا شك في ان هذا الكتاب هو عرض لنظرة عامة كان من الواجب التمتع فيها بالمراجع التي جاء على ذكرها في آخر كل فصل من فصوله ا.ع.خ

S. D. GOITEIN : *Jews and Arabs, their contacts through the ages*. Schocken Books, N. Y. — 1955, XIII — 257 pp.

هو مصنف يتابع بحث علاقات اليهود بالعرب على عمر التاريخ في شتى المضامير الثقافية والاجتماعية والفكرية .

ولا ريب في ان وضع هذا الكتاب قد اقتضى صاحبه الكثير من الجلد والبحث - اما ما ساورني من خوف عندما شرعت بطالته فقد تجلّى امامي في محله ، لان المؤلف على رغم كونه من المشرقين اللامعين ومن اساتذة الجامعة العبرية في القدس لم يكن بتدوره مع انه من العلماء ان يتغلى عن فكرته الخريبة كما يتضح ذلك صراحة من فصله الاول : « اسطورة العرق السامي الدينية » . اما الفصول الاخرى التي تعرف ما تمثله « التقاليد اليهودية في الاسلام ووضع اليهود الحالي المشروع » فاذا كانت اشد موضوعية فانها لم تدع مجالاً من وقت الى آخر ألا لاظهار حدة التحيز ، وفي رأبي ان الفصول التي عاجلت النشر والتصوف والادب الشبي والفن هي اهم فصول الكتاب .

ومن الواضح انه من الصعب الاقلاع عن التحيز اذا ما كتب المرء تحت تأثير الحوادث ، هذا هو كتاب السيد غواتين (Goitein) الذي نشني عليه لما جعل مستنداته من قوة ، وما ذلك ألا عن عقيدة يبد اتنا كنا نود ان يكون اشد هدوءاً .
ا.ع.خ